

6

دوايات عالمية للحب



www.dvd4arab.com

تأليف : هيلين ماكينز
ترجمة : ايناس النجار
إعداد : د . نبيل فاروق

فوق مستوى الشبهات

روايات عالمية الجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب
العالمى ، فى مختلف صنوفه ..
من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..
من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..
ومن الشرق إلى الغرب ..
وإلى الحضارة ..
وإليك ..

د. نبيل فاروق

١ - الزيارة ...

بدأ ذلك اليوم ، من أيام شهر يونية ، كأي يوم من أيام الصيف في (أكسفورد) ، ومشيت (فرانسيس مايلز) ببطء ، متجهة إلى الكلية التي يعمل بها زوجها ، وهي تنظر إلى أوراق الأشجار حولها ، تتخللها أشعة شمس الخامسة بعد الظهر ، فتمنحها ظلالاً برونزية بديعة ..

لقد تأخرت عن موعدها ، وها هي ذى تسرع الخطأ ، وهي ترجو أن يكون مشغولاً كعادته ، فلا يشعر بملل الانتظار ، ولكن من الصعب أن تسرع في يوم كهذا ، فقد كانت تستمتع بالخضرة والورود من حولها ، والمباني الحجرية القديمة التقليدية ، وبمنظر بعض الشاب ، وهم يلعبون الكرة فوق العشب الأخضر .. وتوقفت أمام نافذة إحدى المكتبات ، التي تعرض كتاب (ريتشارد) الجديد ، عن الشعر الإنجليزي ، والذي لاقى نجاحاً كبيراً ، وابتسمت لنفسها في زجاج النافذة ؛ لأفكارها التي لم تكن شاعرية على الإطلاق ، فزيادة مبيعات الكتاب تعنى قضاء

عطلة الصيف مرة أخرى على الجبال .. مرة أخرى ..
ربما تكون آخر مرة .. من يدري ؟ ..

ففى الماضى كان كل ما عليهم هو تقدير أى الجبال
يريدون تسلقها ، ثم يقضون الشتاء فى كتابة المقالات ؛
لمواجهة نفقات الرحلة بالقطار ، ولكن الأمر كان يزداد
صعوبة عامًا بعد عام .. وتذكرت العطلات التى قضتها مع
زوجها فى مناطق (التيرول) و (الدلوميت) .. تسلق
الجبال صباحًا ، وقضاء المساء فى فندق القرية ؛
للاستمتاع بالغناء والرقص والحديث الشيق ، والضحكات
المبتهجة ، ولكن الآن انتشرت الأزياء العسكرية فى كل
مكان ، ولم يعد للنكات أى طعم ، وأصبح الحديث مع
الأجانب يؤدى فى النهاية إلى الشجار ..

لقد تناقشت مع (ريتشارد) فى كل هذا مساء أمس
قبل النوم .. كان يريد رؤية أوروبا مرة أخيرة تسودها
حالة السلم ، فما زالت هناك دول يمكن للمرء أن يتنفس
فيها بحرية ..

وجعلها الشعور بالخوف من أن ينتهى كل هذا تتناقل
فى مشيتها ، حتى بلغت الكلية ، وهناك كان بواب الكلية

واقفاً عند البوابة ، فقالت (فرانيس) ، وهى تحاول أن تبدو مبتهجة :

- كيف حال الطفل الجديد ؟

قال بفخر :

- على ما يرام يا سيدتى .. مستر (مايلز) ينتظرك فى حجرته .. لقد طلبنى تليفونياً منذ برهة ؛ ليسأل عنك .. سأبلغه بوصولك حالاً .

تذكرت (فرانيس) ، وهى تصعد السلم ، أنه قد تطوع فى الجيش ، بعد الاستيلاء على (براج) ، فى شهر مارس من ذلك العام ، ودقت باب الحجرة الخشبية الثقيل ، وفتح لها (ريتشارد) ، وعلى وجهه ابتسامة ، ثم أغلق الباب وراءها فى حرص ، وهو يقول :

- لدينا زائر يا (فرانس) .

كان الزائر (بيتر) .. (بيتر جولت) ، ولقد ابتسم وهو يصافحها بكلتا يديه بحرارة قائلاً :

- أهلاً يا (فرانيس) .. تبدين مندهشة من رؤيتى .

- (بيتر) : وكلنا كنا نظن أنك فى (بوخارست) .. متى

عيت ؟

- منذ أسبوعين أو ثلاثة .. لم يكن باستطاعتى الكتابة

لكما .. لقد شرحت ذلك لـ (ريتشارد) قبل مجيئك .. لقد
قصدت ألا أكتب لكما .. كما أنني لن أستطيع البقاء
معكما .. سأنزل في فندق (منز) .

نظرت (فرانسيس) إلى زوجها في دهشة ، وقالت :
- ماذا في الأمر ؟

ناولها (ريتشارد) كأس شراب ، ثم ملأ كأس (بيتر)
الفارغة قبل أن يقول بهدوء :
- (بيتر) واقع في ورطة .
- ورطة ؟ .. (بيتر) ؟

وجلست على أقرب مقعد ، وهي تبدو قلقة في
جاذبية ، وقال (بيتر) ليطمئننها بسرعة :

- لا تقلقي يا (فرانسيس) كل شيء أصبح على ما يرام
الآن ، ولكن كان لابد لي أن أعود .
ثم ابتسم وأضاف :

- بسبب حالتي الصحية بالطبع .

قالت (فرانسيس) وقد اطمأنت :

- بالطبع .

ولكنها كانت مازالت تنتظر إيضاحاً ، فقال (ريتشارد)
بهدوء ، وهو يضع منفضة سجائر أمامها :

- لقد اشتبك مع جاسوس .

قالت (فرانسييس) . أرجو فقط أن تكون جاسوسة جميلة .. إذا كان على المرء أن يتورط في مثل هذه الأمور ، فلا بد من أن يستفيد من الأمر .

ونظرت بابتسامة إلى الشاب الأنيق أمامها ، الذي وقف مستنداً إلى المدفأة ، والذي يبدو خجولاً هادئاً ، مثل أى دبلوماسى صغير فى السفارة البريطانية ، وقال (بيتر) :

- للأسف كان جاسوساً وليس جاسوسة ، وهو الذى تعرض لى وليس أنا .

- إنك تبدو سهل المراس فى الحقيقة يا (بيتر) .. هل كان يريد قتلك ؟

- لم يستطع ذلك فقد اهتمت (بوخارست) بالأمر ولكن أصدقاءه قد يظنون أننى حصلت على معلومات كثيرة ، ويتابعون الأمر .. على كل حال لقد عدت الآن ، وأنتظر أن تهدأ الأمور .

شعرت (فرانسييس) أنه هناك شىء آخر وراء هذه الزيارة ، وقال (ريتشارد) :

- تكلم الآن يا (بيتر) ، فلا فائدة من الدبلوماسية مع (فرانسيس) ؛ فإنها تستطيع أن تستشف ما وراءها .

شرب (بيتر) كأسه وهو ينظر إليها ، كما لو كان يفكر في الطريقة التي يبدأ بها ، ثم قال بجديّة أعطته عمرا أكبر من عمره ، وهو يتخير الفاظه :

- أنا لم أعد أعمل في وزارة الخارجية ، لقد أسندت إلى أعمال أخرى ، ولهذا السبب أنا هنا الآن .. إن هذه الزيارة لها سبب آخر ، وليس أمامي وقت طويل ..

أولا : لم أكن أريد أن يعرف أحد بعزمي على زيارتكما ؛ لذلك لم أتصل بكما مسبقا ، حتى أن البواب لا يعرف أنني معكما الآن .. لقد أخبرته أنني سأزور مستر (ميريك) .. ذلك لأن لدى عملا لكما ، وأرجو أن توافقا على القيام به .. لا أظن أنه سيكون خطيرا .. بل ربما يكون متعبا ومزعجا فقط ، إذا ما اتبعتما التعليمات بدقة ، إننا نحتاج اليكما ؛ لأنكما فوق مستوى الشبهات ، وتستطيعان التحرك بسهولة .

قال (ريتشارد) :

- ما هو الأمر يا (بيتر) ؟

- سأقول لكما ، ولكن أرجو أن تستوعبا التفاصيل

بدقة .. ان أحد أسباب اختياري لكما يا (ريتشارد) هو
ذاكرتك القوية ، فاستمع الى بتركيز .

هز (ريتشارد) رأسه ، واستطرد الآخر يقول :
- إنكما ستقومان برحلتكما الصيفية مثل كل عام ،
وتسافران عن طريق (باريس) ، وهناك تقابلان شخصا
معينا ، ثم تستكملان الرحلة طبقا لتعليماته ، وفي نهاية
الرحلة ستتمكنان من إخبارنا بمعلومات معينة ، نحتاج
إليها بشدة ، وإليكما التفاصيل ..

عندما تصلان إلى (باريس) تصرفا كما تفعلان دائما ،
من النزول في نفس الفندق ، والأكل في نفس المطاعم ،
وزيارة المتاحف والمعالم الليلية .. استمرا في ذلك
بضعة أيام ، مثل أي سائح ، ثم ليلة يوم السبت اجلسا في
مقهى (كافيه دي لاييه) ، حول مائدة على الرصيف
ناحية الشمال ، وستضع (فرانسيس) وردة حمراء في
شعرها .. لا تنظرا إلى أي شخص بالذات .. وفي حوالي
الساعة الحادية عشرة يقوم (ريتشارد) بإسقاط كأس
النبيذ أمامه بطريقة طبيعية ، وسيأتي (جرسون)
المقهى ليمسح المنضدة ، وسيكون هذا والوردة
الحمراء هما الإشارة ، فيقترب منكما رجل ، فيقول

أحدكما ، مسر (روز) قالت لى إنه علينا أن نرى
(.....) ، ثم يذكر اسم أى مكان قررتما رؤيته ،
وتظاهرا بالكلام مغا بطريقة طبيعية ، ولكن يجب أن
تنتبها إلى الرقم الذى سيقوله الرجل خلال كلامه ؛ لأن
هذا هو مفتاح العملية كلها ، ثم إذا ذهبتما فى اليوم التالى
إلى المكان المحدد بعد ساعة واحدة بالضبط من الرقم
المعطى لكما ، سيتم الاتصال المطلوب مع الرجل ،
وستكون معه رسالة لكما ...

هذا أسهل بكثير مما تتصوران ، فإنه سيتعرفكما من
وضع المنضدة ، والوردة الحمراء ، ثم سكب كأس
النبيذ ، ويكون أمام المنضدة فى الوقت المناسب لسمع
اسم المكان المحدد ، الذى اخترتماه فى الجملة
الصحيحة ، ويقوم بتحديد وقت المقابلة فى اليوم
التالى .. هل فهمت كل ذلك يا (ريتشارد) ؟

.. نعم .. ولكن قبل أن نمضى أكثر من ذلك ، لماذا
اخترتما بالذات ؟ .. فإننا سنكون مثل الهواة فى هذه
العملية ، وقد لا نستطيع التصرف ، ولابد أن لها أهمية
بالنسبة لكم .. إنكم تحتاجون إلى شخص ذكى ، واسع
الحيلة ، ولا أعرف إذا كانت لدى هذه القدرة ، فى هذا
المجال بالذات .. أما بالنسبة لـ (فرانسيس) ...

وهز (ريتشارد) كتفيه فقط ، دون أن يكمل العبارة ،
في حين بدا السرور على وجه (فرانسيس) ، وقالت :
- كم أحبك يا عزيزي .. استمر يا (بيتر) ،
واصل (بيتر) :

- عندما تصلكم الرسالة ، ستكون مكتوبة بشفرة ،
وهذا أيضا أحد الأسباب التي اخترت (ريتشارد) من
أجلها ، إذ يمكنه التوصل إلى مغزاها ، فعقليته مدربة
على هذا النوع من العمل ، وهذه الرسالة ستقودكما إلى
عمل آخر ، ثم يقوم بتوجيهكما إلى عمل ثالث ، وهكذا
من عمل لآخر حتى تصلا إلى رئيس المجموعة .. إنه
آخر الخط ، وهو الشخص الذي نقلق عليه ، وهذه هي
البيانات التي نريدها ، وأعتقد أنكما ستجدان هذه الرحلة
مثيرة ، والآن سأقول لكما السبب فيها .

وابتسم ابتسامة خفيفة ، ثم استطرد قائلاً :

- لقد سمعنا بما يسمى (قطار الاتفاق في
(ألمانيا) .. أليس كذلك ؟ إنها شكل من أشكال المقاومة
وتقوم بمساعدة رافضي النظام النازي ، للهرب في سرية
تامة ، ومن ينظم ويخطط هذه العمليات هو رئيس جماعة
العملاء ، الذين ستقابلونهم ، كما أنه أيضا يرسل لنا

معلومات هامة جدًا ، نستفيد منها ، ولكن منذ حوالى خمسة أسابيع لم تصل إلينا منه أية رسائل مفيدة ، بل إن اثنين من التقارير التى أرسلها كانت مضللة بشكل خطير ، ولحسن الحظ لدينا مصادر أخرى للمعلومات ، مما جعلنا نشك فى صحتها ، ولم نتصرف أساسها ، ولقد تزايدت شكوكنا عندما اختلفى تمامًا من الوجود اثنان ممن ساعد على هروبهم من (ألمانيا) ، ولم نجد لهما أدنى أثر .

وضعت (فرانسيس) كأسها ، وانحنيت إلى الأمام فى انتباه شديد ، فى حين أمسك (ريتشارد) بسيجارة لم يشعلها ، وقد ركزا أعينهما على (بيتر) ، الذى تابع :

- ما نريد معرفته هو : أما يزال ذلك الرجل موجودًا ، وهل يقوم بإرسال معلومات خاطئة ؛ لينبهننا إلى أن الأمور ليست على ما يرام ، أم أنهم قاموا بتصفيته ؟ ..

لذلك فإن مهمتكم هى أن تتبعوا الطريق المرسوم لكما ، عن طريق العملاء المختلفين ، على أن تتصرفا دائمًا مثل السائح البسيط ، حتى تصلا إليه ، والمفتاح الوحيد الذى أعرفه هو أنه سيكون شخصًا بريطاني الجنسية ..

الإنجليزى الوحيد فى سلسلة هؤلاء العملاء ، ولا أستطيع معاوتكما بتحديد اسمه أو شكله ، لأنه يغير ذلك دائمًا ..

وعلى كل حال عدم معرفة ذلك سيسهل الأمر لكما ، كما
أنه الأفضل لنا جميعا ..

وقد لا يبدو لكما أنه إنجليزي ، عندما تلتقيان به ،
ولكن عندما تخبرانه بالدلائل التي يشير بها عليكما العميل
الذي قبله ، ستجدان أنه إنجليزي فعلا .
سأل (ريتشارد) :

- ولكن لماذا هؤلاء العملاء المتعددون ؟ لماذا لا يقوم
العميل الأول في باريس بتوجيهنا إليه مباشرة ؟
- هذه الخطة التي قام بوضعها بنفسه .. لقد اخترعها
لضمان سلامته ، وقد أثبتت نجاحها إلى الآن ، فإنهم
كثيرا ما يعملون في أراض تحت الحكم النازي ، وكل
عميل يعرف فقط اسم وعنوان العميل الذي يليه ،
ويقومون بإرسال المعلومات عن طريق هذه السلسلة
الطويلة ، التي تبدأ بالعميل في (باريس) ، ولا يستطيع
أحد اتباع هذه السلسلة ، إلا إذا عرف الطريقة المعقدة
لمقابلة العميل في (باريس) ، ولا يوجد إلا مصدران فقط
يعرفان هذه البداية نحن أحدهما ، والآخر في مثل حرصنا
أيضا .

قال (ريتشارد) :

- وماذا عن البيانات التي يرسلها لكم ؟ .. لابد أن لديه طريقة أخرى لها .

قال (بيتر) :

- نعم ، وهي طريقة أقصر بالطبع .. أعرف أنني قد أثرت اهتمامك يا (ريتشارد) .. هل هناك أسئلة أخرى ؟
- الخطة سليمة ومأمونة ، فيما عدا شيئاً واحداً .. وهو أنه إذا وقع الرئيس نفسه ، فإن كل المعلومات التي ترسل له ستقع في أيدي النازي ، ويمكنهم القبض على باقي العملاء ؛ إذا اضطرروه للاعتراف ، كما أنهم بالطبع سيتوصلون إلى الأشخاص الذين يريدون مغادرة (ألمانيا) .

- بالضبط .. وهذا هو السبب في مهمتكما .. وحتى الآن كانت خطته ناجحة ، ولم يستطيعوا الوصول إليه ، وتأكد من شيء واحد يا (ريتشارد) .. إن هذا الشخص مدرب تماماً ، ولن يعترف بشيء ، ولابد لنا من أن نعرف أنه ما يزال يعمل أم لا ، قبل أن يتفجر البركان في أوروبا .. لابد أن نتأكد منه ، قبل أن يحدث ذلك .

قال (ريتشارد) :

- نعم .. أنت محق في هذا ، ولكن مازلت أرى أنه من

الأفضل إرسال شخص محترف في هذه المهمة .
رأى (بيتر) أن مناقشة (ريتشارد) له دلالة طيبة ،
فهو على الأقل لم يرفض القيام بالمهمة ، فقال :
- لقد أرسلنا شخصا ، ومازلنا لم نتلق منه شيئا ،
ولذلك اقترحت على رئيسي في العمل أن نحاول إرسال
شخص غير متخصص ، فاثنتان من السياح يمكنهم
التحرك دون شبهات ، وتذكر أنك لست عميلا ، ولا أريد
منك أن تحاول التجسس ، بأي شكل كان .. كل ما نريد
معرفته هو ما إذا كان هناك شخص إنجليزي أم لا ، وإذا
تعطلت الأمور بأي شكل ، فانسحب من الموضوع كلية ..
إنكما تكومان برحلة الإجازة الصيفية في الخارج ، مثل
كل عام ، وبمجرد أن يجد أحكما ذلك الرجل ، فإن
مهمتهما تنتهي ، وربما لا تجدانه بعد أن تصلا إلى العميل
السادس في السلسلة ، فإنه لا يستخدم أكثر من ستة ،
وستكونان في أمان بسبب عدم وضوح مفاتيح العملية ،
كما أنكما لستم من المحترفين .

سكت (ريتشارد) ، و(بيترجولت) يراقبه بعناية ،
وعرف أنه قد وافق ، ولو أن اعتراضه الوحيد هو أن
(فرانسيس) ستكون معه في هذه المهمة . فقال (بيتر) :

- عندما تنتهيان أرسل برقية إلى هذا العنوان في
(جنيف) .

وكتب بضع كلمات على ورقة ، وأعطاهما
لـ (ريتشارد) ، الذي ما يزال يبدو قلقًا ، وأضاف :
- من الأفضل أن تحفظ العنوان عن ظهر قلب ، ثم
تحرق الورقة ، وإذا ما وجدت الرجل فأرسل برقية
تقول : «سنصل يوم الإثنين أو الثلاثاء» ، أو أي يوم
يوافق اليوم الذي قابلتموه فيه فعلاً ، أما لو لم تجداه ،
فأرسل تقول : « أرجو إلغاء الحجز » .. هل فهمت
يا (ريتشارد) ؟

- نعم .. تمامًا ، ولكن ألا تظن أنه من الأفضل أن
أذهب بمفردي ؟ لا أريد أن أعرض (فرانسيس) لأية
مخاطر .

نظرت (فرانسيس) إليه ، وعرفت السبب في ترددده ،
فقالت بصوت منخفض ، ولكن بإصرار :
- (ريتشارد) .. لن أبقى هنا وحدي .
قال (بيتر) :

- أنا أيضًا أوافق (فرانسيس) ، فإنه منذ زواجهما لم
تفترقا في أية رحلة ، ومن الأفضل أن تفعل ما تعودتما
عليه ، كما أن وجود (فرانسيس) معك سيجعلك تتصرف

بحرص ، مما بضمن لكما السلامة .. أعرف أن ذلك الأمر
سيُفسد لكما الإجازة ، ولكن ..

توقف (بيتر) ، وأخذ ينظر إلى (ريتشارد) في انتظار
قراره ، في حين راح (ريتشارد) يحذق في الزهور
الحمراء ، المزروعة على حافة النافذة ، وقال ببطء :
- الأمر ليس إفساد الإجازة ، فيبدو أن إجازات الجميع
ستُفسد هذا العام .. أعتقد فقط أننا لن نستمتع .

أخذ (بيتر) قفازه ومظلته ، وقال :
- إننى لم أخطركما إلا لأننى متأكد من نجاحكما ،
وكذلك للأهمية القصوى لنا فى هذا الأمر .. لقد كنت
أتمنى أن أقوم بنفسى به ، لولا أنهم قد كشفوا أمرى فى
(بوخارست) ، ويبحثون عنى الآن .. لقد أخطركما بما
فيه الكفاية ، وأعرف أنكما مدعوان إلى حفل مستر
(فرام) الليلة .. لقد قابلته هذا الصباح أمام الفندق ،
ودعانى أيضا .

قال (ريتشارد) :

- ما هى المدة المحدودة لهذه العملية ؟
- حوالى الشهر ؛ فإتكما ستقضيان بضع ليال فى كل
مكان تذهبان إليه ، حتى يبدو الأمر طبيعياً ، وتذكرا أننى

لا أريد أن يشكوا في أمركما ، وابتعدا عن أية مخاطر ..
أرجو أن يحفظكما الله .. إلى اللقاء يا (فرانسيس) .. إلى
اللقاء يا (ريتشارد) .. سأراكما بخير عند عودكما .
ثم أغلق الباب وراءه بهدوء ، وساد الصمت في
الغرفة ..

كانت (فرانسيس) هي التي قطعت حبل الصمت ،
فقالت وهي تنظر إلى نفسها في مرآة حقيبتها الصغيرة :
- ستكون على ما يرام .. هيا بنا يا عزيزي فقد
تأخرنا .. هل حفظت العنوان ؟

- العنوان ليس مشكلة يا (فرانسيس) .. إذا كان علينا
أن ننسحب ، فالآن فقط هو الوقت المناسب .

وقفت (فرانسيس) وهي تعذر رداءها ، ثم قالت :
- متى سنبدأ ؟ .. بمجرد أن تنتهي من محاضراتك ؟
نظر (ريتشارد) إلى زوجته الجميلة برهة ، ثم تنهد
وقام يلتقط ذراعها ، وخرجا من الحجرة ، وراحا يتحدثان
في موضوعات أخرى ، وهما في طريقهما إلى أسفل ،
ولكن بقي في أعماقهما شيء واحد لم يمكنهما كتمانها
واخماده ..

الخوف .



٢ - الحفلة ...

كانت الحفلة في أوجها في منزل (فرام) ، عندما وصل (فرانسيس) و (ريتشارد مايلز) ، ووقفوا عند الباب تأهباً لدخول المعمة ، عندما تقدم منهما مضيفهما ويدها محملتان بزجاجات الشراب ، وقال :

- يسعدني حضوركما ، وأسف على هذا الحشد المزعج .

ثم استدار ليرحب بوصول أشخاص آخرين ، وعلى الرغم من أسلوبه كانت (فرانسيس) تعلم أنه مسرور ، من كثرة المدعوين إلى حفله ، والضوضاء الشديدة من حوله ..

وابتسمت (فرانسيس) لـ (ريتشارد) ، قبل أن تدخل وسط خضم الناس ، وتنوب بينهم ، أما (ريتشارد) فقد تبين شخصين على الأقل ، كان يريد أن يقابلهما ويتحدث معهما ، ولكن (بيتر جولد) لم يكن قد وصل بعد ..

ووقفت (فرانسيس) في أحد الأركان ، وفي الحال تقدم منها ثلاثة من الشباب ، من اتجاهات مختلفة ، وبدعوا في



تقديم منهما مضيفهما ویداه محملتان بزجاجات الشراب ..

الحديث معها ، كما يحدث فى مثل هذه المناسبات
المرحة ، وتجذب الجميع الدخول فى المواضيع
السياسية ، كما لو كان هناك اتفاق مسبق بينهم ، فقد
كانوا يشعرون أنها آخر مناسبة اجتماعية سيلتقون فيها
مع بعضهم لمدة طويلة ، وأرادوا أن تكون مناسبة
سعيدة ..

تناقشوا فى الفن ، ومعارض (لندن) ، والمعالم
المعمارية الشهيرة فى (أوروبا) ، وكانت ذراع أحدهم
(مايكل) مضممة ومعنقة بالأربطة الطبية فى عنقه ، فقد
أصيب بشظية فى (برشلونة) ، وهناك احتمال لبتز
ذراعه ، وذلك عندما كان فى الفرقة الدولية هناك ، ولكن
الجميع تجنب الحديث عن ذلك ، وسمعوا فجأة من يقول
بلهجة (أكسفورد) المثقفة :

- كم أنا سعيد بالعودة إلى (أكسفورد) ، والابتعاد عن
متاعب الحياة .

كان المتكلم طويلاً ووسيماً بشكل ملحوظ ، وفى وجهه
ندبتان ، واحدة فى الصدغ ، والأخرى فى الذقن ، من أثر
جروح قديمة ، مما أعطى وجهه الأشقر صفة خاصة ،
وقال وهو يبتسم :

- مسز (مايلز) .. جذابة كالمعتاد .

وانحنى في شدة وهو يصافحها . فقالت (فرانسيس) :

- أهلاً .. كيف حالك ؟

ثم قامت بتقديم الآخرين :

- الهر (سيجرفون آشنهاوزن) ، (جون كلارك) ،

سير (مايكل هامبتون) ، (جورج ساندرسن) .. لقد كان

هر (فون آشنهاوزن) زميل (ريتشارد) في الدراسة .

ابتسم الجميع بأدب ، ولو أن الجو أصبح متوترًا ،

على الرغم من المودة الظاهرة في صوت (فون

آشنهاوزن) ، إلا أن (فرانسيس) كانت تعرف أنه تحت

ستار أدبه الواضح ، فهو في الحقيقة لا يقدر الإنجليز ،

على الرغم من أنه قد تعلم في ثلاث جامعات ، واحدة في

(ألمانيا) ، وواحدة في (انجلترا) ، والثالثة في

(أمريكا) ..

وأشعل (مايكل) سيجارة ، فقد كانت لديه حساسية

شديدة نحو الألمان ، منذ ركله أحد الجنود خلال مشاهدته

لاستعراض عسكري في (ليبزج) ، منذ أربعة أعوام ،

لمجرد أنه لم يقم برفع يده بالتحية في الوقت المناسب ،

أما الآخرون فقد حاولوا متابعة الحديث ، وهم يرجون

أن ينسحب الرجل من بينهم ، ولكن ذلك لم يحدث ، وحاولت
(فرانسيس) أن تزيل التوتر فتكلمت عن الإجازة
الصيفية ..

كان الشباب سيقضون إجازتهم في (فرنسا) ، أما
(فون آسنهاوزن) فسيعود إلى (برلين) وقالت هي : إنها
و(ريتشارد) يريدان التوجه إلى الجبال ، مثل كل عام ،
وسألها (فون آسنهاوزن) :

- أين بالضبط تريدان الذهاب ؟

- لقد كنا في (التيرول) العام الماضي ، وأريد الذهاب
إلى هناك أيضا هذا العام مرة أخرى ، قيل أن ينفجر
البركان .

كان صوتها ناعما وهي تتكلم ، ولكن الألمانية قال في
برود :

- ماذا ؟ في (انجلترا) لن يكون هناك حرب .. انظري
إلى من حولك .

كان المعنى واضحا ، حتى أن (مايكل) قال ، وهو ينفض
بخان سيجارته :

- هناك حد لكل شيء .. إلى اللقاء يا (فرانسيس) ، لا بد
لي من الرحيل .. أتمنى لك رحلة سعيدة هذا الصيف .
وانسحب الآخرون أيضا ، وبقي (فون آسنهاوزن) ،

وتخلصت (فرانسيس) من الحرج الذى تشعر به ،
وتذكرت أنه كان فى الماضى شخصا ودودا مرحا ، وكان
له العديد من الأصدقاء ، عندما كان فى (أكسفورد) ،
وتساءلت فى نفسها عن الدور الذى يقوم به الآن فى
(ألمانيا) الجديدة .. لقد كان يكره الحديث فى السياسة من
قبل ..

حاولت أن تقول شيئا لبقا ، ولكن الأمر كان صعبا فى
هذا الصيف ، من عام ١٩٣٩ م ، فالجميع لديهم
الإحساس بجنسياتهم ، وعلى أية حال فقد سبقها (فون
أشنهاوزن) ، وقال :

- أخشى أننى لم أرق لذلك الشاب ، أكان ذلك لأننى
ألمانى ، أم أن هذا هو أسلوبه المعتاد ؟ .. أشعر بالطبع
أن هناك تغيرا فى معاملة الناس لى .. منذ ست سنوات
كانوا أكثر مودة نحوى ..

وابتسم بشيء من الحزن ، وهو يستطرد :
- فى الحقيقة من المحزن أن يرى المرء الأفكار
السبئية ، التى يحكم بها الناس على بلده .. والسبب بالطبع
هو الصحافة التى تضللهم .
قالت (فرانسيس) :

- ولكن ألا ترى أنه من الغريب أن تسود الانتقادات ،
الموجهة إلى (ألمانيا) دولاً كانت تعتبر في الوقت القريب
من أصدقائها ؟

ونظرت إليه بعينها الزرقاوين الواسعتين ، دون أن
ترمش ، فقال بعد لحظة :

- حتى أنت تغيرت .. من المؤسف أن أعود إلى
(أكسفورد) لأجد نفسى هكذا وحيداً .
- ربما يرجع ذلك إلى التغيير الذى حدث لك ، وليس
لنا .

بدت عليه الدهشة ، وقال :

- لا يا مسز (مايلز) .. لا يمكن أن أكون قد تغيرت إلى
هذه الدرجة ، فما زلت أهتم بالموسيقى والأدب ، ولم
أصبح همجى التصرفات ، أما من الناحية السياسية ، فقد
تطورت وأصبحت أكثر واقعية عن ذى قبل .. لقد رأيت
الحماقات التى ترتكب باسم المثالية والفكر المجرد ..
الناس تحتاج إلى قيادة قوية ، حتى يتحقق لهم
ما يريدون .. وفى البداية عليهم أن يتقبلوا السيئ مع
الطيب ، ولكن فى النهاية سينسون الأشياء السيئة ،
عندما تتحقق لهم المزايا العظيمة .

كان حماسه يزداد وهو يتكلم فقالت (فرانيسيس) :
- تعتقد أنك لم تتغير على الرغم من أنك ، تحت هذه
القيادة التي تتحدث عنها ، لا يمكن أن تقرأ إلا كتباً
محدودة ، وتستمع إلى موسيقى محدودة ، ولا تنظر إلا
إلى صور خاصة ، ولا تصادق إلا أشخاصاً بعينهم .. ألا
يضع ذلك القيود على تفكيرك ؟

- نعم .. إنه يضع القيود التي تجعلني لا أرى (ألا الجيد
فقط ، وهو الأفضل للناس في النهاية .

- ومن الذي يحدد لك ما هو جيد وما هو سيئ ؟
أهو حكمك الشخصي ، وقد تعلمت في (هايدلبرج)
و (أكسفورد) و (هارفارد) ، أم هو حكم القائد الذي فرض
نفسه عليكم ، وهو لا يستطيع حتى أن يتكلم الألمانية دون
أخطاء نحوية ؟

لم يعجب كلامها (فون آشنهاوزن) ، ولم يكن لديه رد
حاضر ، وكان صوتها ما يزال هادئاً ناعماً ، وهي
تضيف :

- أرايت كيف أنك قد تغيرت .. هل تذكر الأستاذ القادم
من (رويس) ، والذي سبقك هنا .. رجل ذكي هادئ ،
وفي منتهى اللطف .. ماذا .. كان اسمه ؟ (روتا) ..
أليس كذلك ؟ .. لقد كنت تعجب به وقتئذ ، ولكن أين هو
الآن ؟ في (أورانيبرج) كما سمعت .

قال (فون آشنهاوزن) فى لا مبالاة :
- إن كل هذا كلام عاطفى يا مسز (مايلز) .. لقد حان
الوقت ليرى البريطانيون حقيقة الأمر .. إن (أوروبا)
الآن تفتقر إلى النظام والإجراءات الشديدة .. لقد أصبحت
(أوروبا) أكثر خطورة عنها منذ ست أو سبع سنوات .
- وما الذى جعلها كذلك ؟

ضحك دون مرح ، قبل أن يقول :
- إنك متحيزة تماماً .. أظنك الآن ستلقين على
محاضرة عن الإدعاءات الشريرة لـ (ألمانيا) ، وحققها فى
التوسع الطبيعى .

- على العكس من ذلك إننى أرى أن للجميع الحق فى
الحرية ، سواء أكانوا من الألمان أو اليهود أو التشيك أو
البولنديين .

امتلاً صوته بالغضب الشديد ، وهو يقول :
- مثل هذه الأفكار هى التى أضعفت (بريطانيا) ، فى
السنوات الخمس والعشرين الماضية .. كان فى
استطاعتها أن تحكم العالم كله ، وبدلاً من ذلك حوّلت
الإمبراطورية إلى (كومنويلث) لا يقوم حتى بمساعدتها
فى الحرب ، إذا كان عليها أن تحارب .. لقد تركت ثروات
(الهند) دون استغلال ، وحاولت فرض حكومة نيابية

على الهنود ، الذين كانوا سيرفضون ذلك ، وقامت
بمعاداة (إيطاليا) بفرض العقوبات عليها .. إنها تضعف
من نفسها طوال الوقت ، معتقدة أنها تقوم بعمل تحسينات
فيما حولها .

إنكم تتكلمون بجنية أكثر من اللازم في هذا
الركن . .

كان المتكلم (ريتشارد) ، الذي اقترب منهما دون أن
يشعرا ، فقالت (فرانسيس) :

- لقد كنت أستمع إلى محاضرة سياسية .

أدركت (فرانسيس) أن (ريتشارد) ينظر إلى خديها
المتوهجين من فرط الانفعال ، وابتسمت محاولة أن
تحتفظ بهدونها ، كما شعرت كذلك بأن (فون أشنهاوزن)
يفعل ذلك أيضا ، وأنه غير مرتاح للانطباع الذي تركه
لديها ، وكان في غاية الأدب وهو يصافحها ، قبل أن
يرحلا ، وانحنى بحبيهما وهو يقول :

- أرجو أن تتقابل مرة أخرى ، ولا تقلقى يا مسز
(مايلز) ، ف (الجلترا) لن تحارب .. إنكم جميعا
مسالمون هنا .. أرجو أن تمضيا رحلة سعيدة .

قال (ريتشارد) :

- أرجو ذلك .

وابتسم وأمسك بذراع زوجته ، وقادها نحو الباب ،
ولوحا للمضيف في طريقهما إلى الخارج .. إلى الهدوء
والهواء المنعش الطلق ، وقال (ريشارد) بصوت
منخفض :

- لقد اتجهت إليك بأسرع ما يمكن ، عندما رأيته
تتناقش مع .. لقد كنت أعتقد أنك أعقل من الدخول في
نقاش مع رجل نازي .. إنه نازي في رأيك أليس كذلك ؟
- نعم .. وأظن أنه لم يكن يرغب في أن يبدو كذلك ،
ولكنني أثرت غضبه .

- ما يهمني هو ما الذي قاله حتى تغضبي أنت .

- هل كان ذلك واضحا ؟

- بالنسبة لي نعم ، ولكن لم يلاحظ ذلك أحد .. ما الذي
أغضبك ؟

- نقده لـ (بريطانيا) .

- على أية حال ، أرجو ألا تكوني قد أظهرت ذكاءك
أمامه ، فـ (بيتر) يريد منا أن تبدو مجرد أناس عاديين
بسطاء .

اندهشت (فرانيس) وقالت :

- ولكنني كنت أظن أن هذه المهمة لن تبدأ الآن على

الفور .

- ربما لا ، ولكن (بيتر) لا يريد منا أن ننتهون .. إنه
 أيضا لم يحضر إلى الحفل .
 - ربما غير رأيه .
 - ربما .. أو ربما لأنه لا يريد أن يقابلنا مرة أخرى ،
 وهذا هو الأرجح .
 كان صوت (ريتشارد) يتسم بالكآبة ، وضغطت
 (فرانسيس) ذراعها ، وهي تقول :
 - ابتهج يا (ريتشارد) وإلا فستجعلنى أقلق .
 ابتسم (ريتشارد) فى الحال ، ولكن الشمس كانت قد
 اختفت ، واختفت معها الظلال البرونزية على أوراق
 الشجر ، وخلت الملاعب فى طريقهما من اللاعبين ،
 وهما يسيران ببطء نحو المنزل ، وقلباهما يخفقان فى
 قوة ، ورهبة ..
 وفى خوف .

★ ★ ★

٣ - وداعًا للأمان ..

تم إعداد كل شيء بسرعة ، ولم يبق سوى رحيل الطباخة (أنى) ، ذات الأصل الألماني ، والتي بكت طويلاً قبل رحيلها ، وقالت : إن أختها حذرتها من العودة إلى (إنجلترا) مرة أخرى ، فإذا ما نشبت الحرب سيرجمونها هناك بالحجارة ، ولقد أبدت (فرانسيس) دهشتها للفكرة ، ولكن (ريتشارد) اكتفى بتهدئة (أنى) ، ومنحها مكافأة طيبة ، ثم تركها تتصرف باكية في حرارة ، وهي تودعهما بكفيها في امتنان حزين ، ولم تكد تتصرف ، حتى تنهدت (فرانسيس) ، وقالت :

- كنت أخشى هذه اللحظة .. الآن لم يعد أمامنا سوى الرحيل ، حيث أضع الوردة الحمراء ، وتسكب أنت كوب الشراب ، حتى تثير دهشة وانتباه المقهى كله ، ثم لا يحدث شيء ، ونكشف في النهاية أن الأمر كله مجرد مزاج ثقيل من (بيتر) .

ضحك (ريتشارد) ، وقال :

- مهما كان الأمر يا (فرانسيس) ، فمن المؤكد أنها ليست نزهة .

سألته شاردة :

- أعتقد أنه ستكون هناك حرب حقيقية هذا الصيف ؟
أجاب بعد لحظة من الصمت :
- الجميع يظنون هذا ، ولقد سمعت أحدهم أمس يقول :
- إنه ما من شيء مضمون ، فالأمر كله يتعلق بنزوة
رجل واحد .

قالت في حنى :

- يا للسخافة ! .. أياظن نفسه إليها ؟
ربت على كتفها ، وقال :
- لا فائدة من مناقشة مثل هذه الأمور .
لم ترد ، ولكنها كانت توافقه على هذا القول ..
لا فائدة من المناقشة ..
المهم أن يبدأ العمل ..
العمل الجاد ..

★ ★ ★

توقف القطار في (دييب) ، بعد عبور (المانش) ،
واسترخت (فرانسيس) في مقعدها ، تراقب القادمين ،
وجلس أمامها (ريتشارد) ، وقد أسند رأسه إلى ظهر
المقعد ، وأغلق عينيه ، وغرق في صمت عميق ..
وعندما بدأ القطار حركته ، دلف إلى المقصورة
شابان ، وضعا حقائبهما فوق الرف ، دون أن يتبادلا حرفاً

واحدًا مع (فرانسييس) أو (ريتشارد) ، وبدأ من الواضح
أنهما طالبان ، مع حلتهم الرمادية الداكنة ، المخططة
بأقلام رفيعة بيضاء ، والحذاء البنى المصنوع من
(الشامواه) ، ورباط العنق الذى يحمل شعار الكلية ، التى
جاءا منها ..

وفى البداية حاولت (فرانسييس) أن تستشف من زيهما
وملاحظتهما شيئًا ما ، وقد بدا لها أن كل ما يحيط بها ينتمى
إلى عالم الجاسوسية والإثارة ، ولكنها لم تلبث أن شعرت
بتناقل فى جفניה ، فلم تكن قد نامت أكثر من أربع ساعات
فى الليلة الماضية ، ثم استيقظت فجأة ، والقطار يتوقف ،
ورأت (ريتشارد) يناول أمتعتهم لأحد الحمالين ،
فاعتدلت وسألته بصوت مبجوح :

- هل وصلنا ؟

كان الطالبان قد انصرفا ، ولم يبق سواهما ، فأجابها
مبتسمًا :

- نعم .. هل نعمت بنوم طيب ؟

أجابته بالإيجاب ، ثم لم يتبادلا حديثًا آخر ، حتى وصلا
إلى ذلك الفندق الصغير ، فى قلب (باريس) ، والذى
قضيا فيه إجازتهما السابقة ، وهناك سألته فى اهتمام :

- هل تحدثت مع الشابين فى القطار ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. إنهما من جامعة (كامبردج) ، وحديثهما
مبهم بعض الشيء ، ولكنها أشارا في حديثهما إلى
(تشيكوسلوفاكيا) ، ثم يترا حديثهما بغتة ، وكأنهما
لا يرغبان في الاستطراد ، ولم أشأ سؤالهما عما يعنيه
هذا .

كانت تعلم أنه من اللياقة ألا يفعل ، ولكنها كانت تتمنى
معرفة ما يعنيه حديثهما عن (تشيكوسلوفاكيا) ، في هذا
الوقت ، فمطت شفيتها ، وتنهدت ، وهي تفتح النافذة ،
وتتطلع إلى المبنى المقابل ، و ...
وفجأة لمحته ..

لمحت ذلك الرجل الضئيل ، الذي يراقبهما من حجرته
بالمبنى المقابل ..
وكان هذا يعنى أن الخطر قد أعلن عن وجوده ..
وبدأ جولته ..

★ ★ ★

انتهى شهر (يونيو) مع نهاية الأسبوع الأول لهما في
(باريس) ، وكانا يضمنان بإجازتهما فعلياً ، دون أن
يلقيا بالآ للرجل الضئيل ، الذى انهمك فى مراقبتهما طوال
الوقت ، مما منحه شعوراً بأنه يبذل وقته معهما ، وجعله

يسخط على مهمته الروتينية السخيفة ، التي كان يمكن أن تؤديها خادمة الفندق .. وكان هذا هو نفس شعور الرجل الثاني ، المسئول عن مراقبتهما بعد مغادرتهما الفندق ، والذي اهترأت قدماءه ، وهو يتبعهما من كنيسة إلى أخرى ، ومن متحف إلى آخر ومن معرض إلى ثان ، وهو الذي لا يهتم قط بالمتاحف والتاريخ ..

أما الرجل الثالث ، الذي يراقبهما في الفترة المسائية ، فقد كان أسعد حظا ، إذ يتناول عشاءه في مطاعم جيدة ، ويقضى سهراته في ملهى أو آخر ..

وفي كل مساء ، كانا يتناولان القهوة والشراب في (كافيه دي لاييه) ، حتى أن مراقبهما لم يشعر بالدهشة ، في ذلك المساء ، عندما رأهما يذهبان إلى المقهى ، وقد وضعت (فرانسيس) على رأسها قبعة بيضاء ، بها وردة حمراء زاهية ، ولم يسمع (فرانسيس) ، وهي تهمس لـ (ريتشارد) :

- إلى متى ينبغي علينا الجلوس هنا ؟

لم يجب (ريتشارد) ، فقد كانت عيناه معلقتين بشيء ما خلفها ، ثم فجأة انسكب قدح الشراب ، الذي وضعه (ريتشارد) في حرص ، على الطرف البعيد للمائدة ، وانحنى رجل يلتقطه ، بطريقة مكنتهما من رؤية الساعة

فى معصمه ، وقد لبسها بطريقه معكوسه ، ورؤيه الوقت
الذى تشير إليه عقاربها ..

وفى هدوء ، شكره (ريتشارد) على إعادة القدح ،
وأوما الرجل برأسه فى لا مبالاة ، فى حين أسرع الخادم
ينظف المكان ، وابتعد صاحب الساعة المعكوسه ، ثم
اختلفى وسط المارة ، دون يلقى عليه (ريتشارد) أو
(فرانسيس) نظرة أخرى ..
ولكنهما استقبلا الإشارة ..
إشارة البدء ..

★ ★ ★

« لقد فتش أحدهم حجرتنا .. » .

همست (فرانسيس) لـ (ريتشارد) بهذه العبارة ،
وهى ترقد إلى جواره فى الفراش ، فسألها فى صوت
منخفض :

- ماذا لاحظت ؟

أجابته :

- أنا أرتب دائما علب الكريم بطريقة خاصة ، فوق
علبة من الورق ، تحوى بعض المناديل وقطع القطن ،
وأدوات تجميل مختلفة ، ولقد اختلف هذا الترتيب :
- سألها فى خفوت :

- وهل اختفى شيء ؟

أجابت في سرعة :

- مفكرة عناوين ، أدون فيها عناوين محال تصنيف

الشعر ، والفنادق .

ضحك قائلاً :

- فلنأمل أن تفيدهم .

ضجكت بدورها ، وهمست :

- متى نرحل ؟

أجاب في حمم :

- غذا .

أومات برأسها موافقة في ارتياح ، ثم دسّت رأسها في

صدره ، واستسلمت لنوم عميق ..

★ ★ ★

كانا قد انتهيا من إعداد حقائبهما في الصباح ، عندما

أمسك (ريتشارد) كتاباً صغيراً ، وراح يقرؤه في اهتمام ،

فسألته (فرانيس) :

- ما هذا ؟

أجابها وهو يغمز بعينه ، في حركة خفية :

- دليل (العماتيا) .. ينبغي أن نعرف المكان الذي

سنذهب إليه .. أليس كذلك ؟

كانت واثقة من أن هذا الكتاب لم يكن هنا أمس ، ولكنها
لم تناقشه أو تسأله ..

كانت واثقة من أن الرجل ، صاحب الساعة
المعكوسة ، قد أرسل هذا الدليل بوسيلة أو بأخرى ، ورأت
(ريتشارد) يفحص كل صفحة من صفحاته جيدا ، حتى
عثر على علامة خفيفة بقلم رصاص ، تكاد لا تظهر ،
على شكل نجمة ، في أحد الأقسام ، أمام اسم
(نورنبرج) ، وأخرى أمام (مارينستراس) ، وثالثة عند
(أوجسبرك) ، ورابعة ، وخامسة ..

ولم تمض ساعة ، حتى كان قد حل الشفرة ، وعلم أين
ومتى يتم اللقاء الأول ، فقال له (فرائسيم) مبتسما :
- سنرحل على الفور ، ولكن بعد أن أدخل غليونى
أولا .

شعرت بالدهشة ، لأنه لا يدخل غليونه عادة إلا بعد
الغداء ، ولكن دهشتها هذه لم تلبث أن تلاشت ، عندما راح
يقطع تلك الأوراق ، التى تحوى العلامات الصغيرة ،
ويشعل فيها النيران ..

وبدت الأنفحة المتصاعدة كما لو أنها أدخنة الغليون ..
وعندما احترقت الأوراق عن آخرها ، بدأت رحلتهم
إلى (نورنبرج) ..

لم تكن الرحلة قصيرة أو بسيطة ، ولكنهما وصلا في ساعة متأخرة جدًا إلى (نورنبرج) ، وقادهما سائق سيارة الأجرة إلى فندق (كوينجزوف) ، وهناك أبدت (فرانسيس) تيزمها من الأثاث الضخم ، والأسقف العالية الحادة ، ولكن (ريتشارد) ضحك قائلاً :

- لا تكتنبي يا فتاتي .. ستشعرين بتحسّن في الصباح .

وكان على حق ، ففي الصباح التالي كانت تشعر بتحسّن كبير ، وخرجت مع (ريتشارد) إلى المدينة ، التي كانت هادئة ، ذات طراز قديم أنيق ، يبعث الراحة في النفوس ، لولا أصحاب القمصان البنية والأزياء العسكرية ، الذين يتحركون في برود ورتابة ، جعلاهما يشعران بالضجر ، ثم لم يلبث (ريتشارد) أن بدأ يسترجع التعليمات ، التي استخرجها من الدليل ، فاستقل معها الترام إلى شارع (مارينستراس) ، وهناك قطعوا الشارع أكثر من مرة ، وهما يبحثان عن أي متجر أو منزل ، يحمل اسم (أ . فوجر) ، حتى أمسك (ريتشارد) ذراع (فرانسيس) في قوّة ، وضغط يدها في انفعال ، وهو يقودها إلى حانوت صغير ، يبيع الكتب القديمة ، وسمعته يقول :

- عظيم .

ودون أن تبدو هي انفعالا ، أو تكشف ما تعصف به
نفسها من الداخل . لاحظت لافتة الحانوت ، التي تحمل
اسم (مكتبة) ، وإلى جوارها بحروف صغيرة
(١ . فوجر) ..

ودون تردد ، دخلا إلى المكتبة القديمة ، التي تحتضن
بالكتب ، التي تملأ الأرفف على حوائطها ، من السقف إلى
الأرض ، وتحمل كذلك منصبتين كبيرتين ، في منتصف
المكان ، في حين كانت هناك فتاة بيضاء ، ترتدي منظارا
طبيا ، فوق عينيها الزرقاوين الباهتتين ، رمقتهما بنظرة
باردة ، ولم تهتم حتى بالنهوض لاستقبالهما ،
ولا بمساعدتهما ، وهما يقلبان الكتب ، حتى أخرج
(ريتشارد) من جيبه ورقة مطبوعة ، قدمها إليها ،
قائلا :

- هل يمكنني العثور هنا على نسخة من هذا
الكتاب ؟ .. إنه عن الشعر الغنائي الألماني ، ولقد طبعه
(توبنز) في (ليبزج) ، عام ١٨٣٦ م .
ألفت الفتاة نظرة باردة على الورقة ، دون أي تعليق أو
اهتمام ، ثم قالت :

- ليس لدينا هذا الكتاب .
وجد نفسه يسألها في حدة :

- ألا يوجد آخر ، يمكن التحدث إليه ؟

مع صوته المرتفع ظهر رجل قصير ممتلئ ، يرتدى قميصًا فضفاضًا ، مسح جبهته بمنديل ، ثم أغلق الباب الذى أتى منه خلفه ، وقال :

- أظننى سمعت صوت زبائن .

كان قد غادر الحجرة ، وأغلقها خلفه فى سرعة ، ولكن هذا لم يحجب رائحة الأوراق المحترقة ، التى تصاعدت من حيث أتى ، ولكن (ريتشارد) تظاهر بأنه لم ينتبه إلى هذا ، وهو يقول :

- كنت أسأل عن كتاب فى الشعر الغنائى الألمانى .

وناول الورقة المطبوعة للرجل ، الذى غمغم :

- كتاب عظيم بالفعل .. كانت لدى نسخة منه فيما

مضى ، ولكننى بعته على الأرجح ..

ثم أشار للفتاة ، ذات المنظار الطبي ، وقال :

- ابحثى عنه فى الداخل يا (أوتيللى) .

رمقته الفتاة بنظرة باردة ، ثم اتجهت إلى مخزن جانبي ، فى حين انتحى الرجل و (ريتشارد) ركنا ، وراحا يتحدثان فى اهتمام ، و (فرانسيس) تراقبهما فى قلق ، حتى عادت (أوتيللى) ، فارتفع صوت الرجل ، وهو يقول :

نعم .. أظننى بعته .. (أوتيللى) .. هل تذكرين كتابًا

صغيرًا ، له غلاف من الجلد الأحمر ، اشتريته من
البروفيسير (فارت) .

هزت رأسها نفيًا ، وراحت تراقب (ريتشارد) والرجل
في اهتمام ، على الرغم من أنهما تحدثا ببساطة ، وقال
الرجل :

- سأبحث لك عن نسخة أخرى على أية حال .. عد مرة
ثانية ، وستجدنى أو تجد (أوتيللى) ، وربما عثرنا لك
على نسخة من الكتاب ، أو ...

فجأة بتر عبارته ، وتطلع من فوق كتفى (ريتشارد)
إلى الطريق ، ثم قال فى سرعة ، وهو يتحرك فى خطوات
سريعة نحو الحجرة التى أتى منها :
- معذرة .. إلى اللقاء .

كان وداعًا مباغتًا ، أثار دهشة الجميع لحظات ..
ثم ظهر السبب بفتة ..
ظهر على هيئة ثلاثة من الرجال ضخام الجثة ،
اقتحموا الحانوت فجأة ، بأحذيتهم العسكرية الثقيلة ،
ووجوههم الصارمة المتجهمة ..

وأشارت (أوتيللى) بحركة سريعة إلى الحجرة
الداخلية ، فأخرج الثلاثة مسدساتهم ، واندفعوا نحو
الحجرة ، ورفس أحدهم بابها بقدمه ، ثم اندفعوا داخلها .

وارتجفت (فرانسييس) ..
كانت تتوقع سيلاً من الرصاصات ، والدماء ..
ولكن هذا لم يحدث ..
كل ما حدث هو أن الرجال عادوا من الحجرة غاضبين ،
وهتفت أحدهم في حدة :
- أين هو ؟
خبث ابتسامة (أوتيللى) ، وظهر عليها الخوف ، وهي
تقول :
- لقد دخل هناك ، ولا يوجد باب آخر .
صاح الرجل في غضب :
- ولكن توجد نافذة يا غبية .
انكمشت الفتاة في رعب ، في حين التفت هو إلى
(رينشارد) و (فرانسييس) ..
ولم تكن نظراته تحمل أدنى شعور بالارتياح ..
بل كانت تحمل الخطر ..
كل الخطر ..

★ ★ ★

٤ - حادثة (نورنبرج) ..

مضت لحظات من صمت رهيب ، والرجل يرمى
(ريتشارد) و (فرانسيس) بنظرات صارمة قاسية ، قبل
أن يسأل في غلظة :
- ما اسمكما ؟

غمغمت (أوتيللى) :
- زبائن .

أما (ريتشارد) ، فقد رسم على وجهه دهشة
مصطنعة ، وراح يفسر للرجل كيف أنهما يبحثان عن كتاب
قديم ، عن الشعر الغنائى الألمانى ، و ... ، و ... حتى
شعر الألمانى بالملل ، فقال بنفس اللهجة الصارمة :
- فليكن .. هذا يكفى .

ثم ضرب كعبيه ببعضهما البعض ، ورفع يده ، هاتفا :
- هايل (هتلر) .

وهنا خلق قلب (فرانسيس) فى عنف ، وتساءلت
عما سيفعله (ريتشارد) ، للرد على هذه التحية الجافة ،
ولكن (ريتشارد) قال باتسامة هادئة :
- إلى اللقاء .

خفض الرجل يده ، وهو يقول فى صرامة :
- لقد أنقيت عليك التحية الألمانية .
أجابه (ريتشارد) بنفس الابهتامة :
- وأنا أجبتها بالتحية الانجليزية .. هذه هى أصول
اللياقة .
مط الرجل شففيه ، ورمقهما بنظرة أخرى قاسية ، ثم
أشار إلى زميليه ، وانصرف الثلاثة بنفس الخطوات
الثقيلة العنيفة . وتنفس (فرانسيس) الصعداء ..
لقد انتهت هذه المشكلة ..
مؤقتا ..



كانت حجرتهما قد خضعت لتفتيش سرى كالمعتاد ،
ولكنهما لم يبديا اهتماما هذه المرة ، ورأت (فرانسيس)
الأمريكى الذى دهست قدمه فى الصباح ، فتبادلت معه
ابهتامة وتحية سريعة ، ولكنه اتجه إليها ، وصافحها ،
ثم قدم نفسه إلى (ريتشارد) ، قائلا :
- (هنرى فان كورتلاند) ، من (هاى تور) فى
(نيويورك) .. وأنا صحفى ، أجوب (أوروبا) فى الوقت
الحالى : لكتابة تقارير حول الدلائل المحتملة لنشوب حرب
فى المنطقة .
كان شابا وسيما ، يوحى بالذكاء ، ويتحدث فى طلاقة

واضحة ، فرحّب به (ريتشارد) ، وجلس الثلاثة يتبادلون الحديث ، حول احتلال الألمان لـ (براج) ، واحتمالات نشوب الحرب ، ومحاولة (أمريكا) للبقاء خارج حلقة الصراع ، ثم نهض الأمريكي ، واعتذر عن رغبته في الانصراف ، بسبب ارتباطه بموعد آخر ، وبعد انصرافه قالت (فرانسيس) :

- إنه يتحدث بطلاقة .

هزّ (ريتشارد) كتفيه ، وقال :

- من السهل أن يحاول المرء طويلاً ، عندما تكون بلاده على مسافة ثلاثة آلاف ميل ، من منطقة الخطر .

ثم مال عليها فجأة ، وهمس :

- ما رأيك في الذهاب إلى السينما ؟

سألته في دهشة :

- وما المناسبة ؟

بدا الجدل في ملامحه وصوته ، وهو يقول :

- هناك رجلان يتبعانا منذ وصلنا إلى (نورنبرج) ،

ولم يتناولوا الطعام منذ الصباح ، ولقد بدءا في تناوله منذ لحظة واحدة ، وانصرافنا المياغت سيفقداهما شهيتهما ،

ويثير حنقهما وغضبهما .. ما رأيك ؟

شاركته جدله ، وهي تقول في حماس :

- هيا بنا .

ونهضا معا فجأة ، على نحو حرصا على أن يبدو طبيعيا ، وانصرفا إلى دار سينمائية قريبة ، فأسرع الرجلان يتبعانهما في سخط ، وقد اضطرا إلى التخلي عن طعامهما ..

ورأقت اللعبة لـ (فرانسيس) ، فراحت تنتقل من مقعد إلى آخر ، داخل قاعة السينما ، حتى تثير توتر الرجلين وحنقهما ، حتى ضغط (ريتشارد) يدها ، وطلب منها انكف عن هذا ، قبل أن يثير الأمر شكوك وشبهات الرجلين ..

وعندما غادرا السينما ، كان الليل قد أسدل أستاره ، وكان الرجلان قد أرهقا ، من شدة الجوع والتعب والانفعال ، وعندما أخفت (فرانسيس) ضحكتها في صدر (ريتشارد) ، سمعت صوتا يقول :

- أنتما مرة أخرى .. يا لها من مصادفة سعيدة !

هتفت في جدل :

- (فان كورتلاند) ؟! .. لم أتصور أبدا أن نلتقى مرة

أخرى .

انضم إليهما (فان كورتلاند) ، وراحوا يسIRON جنباً إلى جنب ، وهم يعودون إلى مناقشتهم ، حول الحرب والسياسة ، و ...

وفجأة تجمّدت (فرائسيس) وهي تقول :
- ما هذا ؟

كان هناك صراخ كالعويل ، يأتي من شارع ضيق مظلم
إلى يسارهم ، فنظر بعضهم إلى البعض ، وتمتم
(ريتشارد) :

- يبدو كما لو أنه محاولة قتل .

وهنا اندفع (فان كورتلاند) إلى الطريق ، قائلاً :

- انتظر هنا مع زوجتك ، وسأذهب لرؤية ما يحدث .

لم يكذب يتحرك ، حتى ارتفع صوت صارم يقول :

- قف .. لا شأن لك بالأمر .. واصلوا سيركم .

التفت الجميع إلى رجلين ضخمي الجثة ، غليظي

الملامح ، وقال (فان كورتلاند) في عصبية :

- هناك جريمة قتل تحدث هنا .

أجابه أحدهما في غلظة :

- لا شأن لك بهذا .. إنه شارع يقطنه بعض

المعارضين .. واصلوا سيركم .

مضت لحظة من الصمت ، ثم قال (فان كورتلاند) في

عصبية أكثر :

- هيا بنا .

ابتعدوا صامتين بعض الوقت ، ثم قال (فان كورتلاند)

في غضب :



كان هناك صراخ كالعريل ، يأتي من شارع ضيق مظلم إلى يسارهم ،
فنظر بعضهم إلى البعض ..

- لقد أفسدوا ليلتنا .

ثم عادوا إلى صمتهم ، حتى بلغوا الفندق ، وتبادلوا
عناوينهما ، ثم انصرف الأمريكي ، وصعد (ريتشارد) مع
(فرانسيس) إلى حجرتهما ، وقال هو في توتر :
- غدا نرحل من هنا .

وشعرت (فرانسيس) بالارتياح ..

★ ★ ★

في الصباح التالي رحلا إلى (ميونخ) ، وقضيا
نهارهما في التجول في المدينة بلا هدف ، شأن أي
سائحين عاديين ، ثم قضيا ليلتين في (ميونخ) ، ورحلا
بعدهما إلى (ميثوالد) ، حيث تسلقا الجبل لمسافة
بسيطة ، وابتاعا بعض معدات التسلق ، ثم قضيا ليلتهما
في فندق (فراو كوبلر) ، التي تنتمي بشدة إلى الحزب
النازي ، وفي يوم الجمعة رحلا إلى (اتزبروك) ..

كانت المدينة جميلة بالفعل ، وفي فندق (جاستون
بوزون) استقبلهما موظف الاستقبال في برود متناه ،
ونقل بياناتهما في دفتره في صمت ، ثم سلم أمتعتهما
لشاب أسمر نحيل ، يحمل اسم (جوهان) ..

والعجيب أن (جوهان) هذا كان الشخص الودود
الوحيد ، الذي التقيا به ، منذ وصلا إلى (ألمانيا) ، وكان

يبتسم دائما في وذ وسعادة ، حتى أنها قالت له (ريتشارد)
مازحة :

- هناك شخص يبتسم .. لا ينبغي أن نفقد الأمل .
ولكن باستثناء (جوهان) ، كان الجميع في غاية
البرود والصرامة ، فيما عدا موظف الاستقبال الضخم
الجلبة ، والذي بدا متبلذا كسولا ، وهو يتلقى منهما مفتاح
حجرتهما ، أو يعيده إليهما بعينين خاملتين نصف
مغلقتين ..

وفي ذات ليلة ، لم يجدوا الضخم في مكانه ، وقبل أن يمد
(ريتشارد) يده ، ليلتقط المفتاح بنفسه ، ظهر
(جوهان) ، وقد بدا نظيفا أنيقا ، وقد ارتدى زيا عاديا ،
وخلع زى الفندق ، وقال مبتسما ، وهو يناولهما المفتاح :
- معذرة .. لقد خرج الهر (كرونستاينر) منذ لحظات
لتناول العشاء .

شكره (ريتشارد) ، والتقط منه المفتاح ، وبدا متهلل
الأسارير ، وهو يصعد مع (فرانسيس) إلى حجرتهما ،
حتى أنها سألته :

- ما الذي يجعلك سعيدا إلى هذا الحد ؟
همس مبتسما :

- يلوح لى أنني أحسنت الاستنتاج ، في أمر ما .

سألته في لهفة :

- أي أمر ؟

وقبل أن يجيب ، كان قد دس المفتاح في ثقب الباب ،
وفتح حجرتهما ، ثم وقف يتطلع داخلها بنفس الابتسامة ،
وإن تألقت عيناه في شدة ، فالتفتت هي إلى حيث ينظر ،
واتسعت عيناهما في دهشة ..

كان هناك رجل ضخم ، يقف داخل حجرتهما ..
الهر (كرونستاينر) ..

★ ★ ★

لم يبد على (ريتشارد) أي أثر للدهشة ، وهو يبتسم ،
ويقول في هدوء :
- مساء الخير .

لاحظت (فرانسيس) أن (كرونستاينر) أيضا جعل
صوته منخفضا ، وهو يقول :

- جئت لأسلمكما فاتورة الحساب ، ولأشرح لكما
ما يستغرق على فهمكما من تفاصيلها ، فالأجانب
لا يفهمون عادة طرق الحساب الألمانية .
أدهشها أنه يبتسم في لطف ، وأن (ريتشارد) وافقه
قائلا :

هذا أفضل ، فأنا أحب أن يكون كل شيء واضحاً .
ناولته (كرونتاينر) ورقة عادية ، تحمل اسم
الفندق ، وهو يقول :

- ها هي ذى الفاتورة .

تذكر (ريتشارد) (١ . فوجر) ، عندما انتحى به
جانباً ، في مكتبته القديمة ، وقال مؤكداً في حزم :

- لا تنس أبداً .. المالك اسمه (هانز) .

وعلى الرغم من هذا كان اسم المالك واضحاً ، في بداية
الفاتورة (رودلف كرونتاينر) ، فقال (ريتشارد) في
هدوء :

- عجباً ! .. كنت أظن أن اسم المالك (هانز) .

وهنا ارتسمت على شفتي (كرونتاينر) ابتسامة
خفيفة ، وهو يقول :

- الجميع يعلمون أن اسمه (رودلف) .

ثم التقط الفاتورة من يد (ريتشارد) في لطف ، وناولته
أخرى ، وهو يرمقه بنظرة ذات مغزى ، قائلاً :

- أتمنى لكما إقامة طيبة في (بيرتيسو) .

قالها وانصرف مباشرة ، فتطلعت (فرانسيس) إلى
(ريتشارد) ، وعيناها تحملان تساؤلاً ، أجاب عنه
(ريتشارد) على الفور :

- سيروى لك تسلق الجبال فى (بيرتيسو) .. سنرحل
الى هناك غذا .

لم تلق سؤالا آخر ..

لقد فهمت الأمر بدورها ، على الرغم من دهشتها ،
ولم يكن من الصحيح أن تتحدث الى (ريتشارد) ، مادامت
غير واثقة من وجود أجهزة تصنت فى حجرتهما ، لذا فقد
اغتسلت فى هدوء ، وأبدلت ثيابها ، ثم هبطت مع
(ريتشارد) ، للتجول لآخر مرة فى (انزبروك) ، قبل
رحيلهما الى (بيرتيسو) ..

ومن المدهش أنهما التقيا مرة أخرى بـ (فان
كورتلاند) ، وفجأة صاحت (فرانسيس) أيضا :

- انظريا (ريتشارد) .. إنه أحد الشابين ، اللذين كانا
بالقطار .

النقط الشاب صيحتها ، وتضرج وجهه بحمرة الخجل ،
ثم صافحهم فى تردد ، وأصر (ريتشارد) على انضمامه
إليهم ، فجلس الشاب ، وبدأ يتحدث معهم ، وسرعان
ما اندمج فى مجتمع الصغير ، وراح يروى لهم قصة
صديقه ، الذى كان يصحبه فى القطار ..

كان صديقه (تونى) هذا يهتم بغناة تشيكوسلوفاكية ،
قابلها فى (انجلترا) فى الصيف الماضى ، وبعد عودتها
الى (براج) ، اختفى والدها فى ظروف غامضة ، ثم

اختلفت الفتاة أيضًا ، فسافر (توني) معه إلى هناك ، حيث
عاملوهما معاملة سيئة ، دون أن يجد أدنى أثر للفتاة ،
وعندئذ قرّر (توني) البقاء هناك ، على أن يرحل
(ثورنلي) إلى (ألمانيا) ، لينتظر عودة (توني) مع
فتاته .

وسأله (فان كورتلاند) :

- وماذا لو لم يظهر ، حتى نهاية الشهر ؟

غمغم (ثورنلي) في توتر :

- عندئذ يكون شيء ما قد حدث ، وسأضطر إلى العودة

إلى (براج) .

قال (فان كورتلاند) في حزم :

- سأذهب معك لو فعلت .

تهللت أسارير (ثورنلي) ، وهو يقول :

- حقا .

أما (ريتشارد) فقال بسرعة :

- أما نحن ، فسنرحل إلى (بيرتيسو) في الصباح .

تمتم (فان كورتلاند) :

- ربما نلتقي هناك أيضًا .

ولم تذكر (فرانسيس) لحظتها لماذا شعرت بالخوف منه .

من (فان كورتلاند) .

★ ★ ★

٥ - قطع الشطرنج ..

كانت الرحلة الى (بيرتيسو) قصيرة ، وكانت القرية نفسها أنيقة وجميلة ، ولها جاذبية خاصة ، ولم يكديستقر بهما المقام في الفندق ، حتى قال (ريتشارد) ، وهو يغمز بعينه :

- يقولون : إنه يوجد هنا أفضل ناحتي قطع الشطرنج .

تمتت في آية :

- حقا ؟ ..

لم تمض دقائق على عبارته ، حتى كان يقودها الى داخل متجر ، يحوى آلات حفر وتقطيع الخشب ، وعددا من قطع الشطرنج الخشبية ، المنحوتة بدقة شديدة ، وسأل (ريتشارد) صاحب المتجر عن ثمنها ، وعندما وجد ثمنها معقولا ومناسبا لجودتها ، سأل الرجل :

- هل يمكنني الحصول على مجموعة كاملة ، لأخذها

معي الى (انجلترا) ؟

أجابه الرجل :

- بالطبع .. ولدى هنا مجموعة أكثر دقة وروعة ،

صنعت مثلها لأحد السادة هنا .

عرض عليهما المجموعة الثانية ، فشبهت (فرانسيس) انبهاراً ، وقال (ريتشارد) ، وهو يتأمل القطع في إعجاب شديد :

- لاريب في أن السيد الذي صنعتها من أجله ، هو أحد المتخصصين في قطع الشطرنج .
أجابه الرجل في حماس :

- الهـر (مسبيرون) ؟ .. إنه رجل ممتاز ، ولديه مجموعة من القطع النادرة ، بالغة الدقة والجمال .. لابد لكما من السعى لرؤية ما لديه .

وافقـه (ريتشارد) على قوله ، فقد كان هذا بالضبط ما يسعى إليه .. أن يجد المبرز المنطقي لزيارة الدكتور (مسبيرون) ، وتأكيداً لهذا ، طلب من الرجل أن يصنع له مجموعة مماثلة ، ومنحه نصف ثمنها مقدماً ، ثم غادر المتجر مع (فرانسيس) ، التي سألتـه في لهفة :

- هل نذهب لزيارة (مسبيرون) هذا ؟ .

هز رأسه نفياً ، وقال :

- ليس بهذه السرعة .. سنقضي بعض الوقت في التنزه ، وتسلق الجبال ، شأن أي سائحين عاديين ، وعندما تحين الفرصة المناسبة ، سنذهب لزيارة (مسبيرون) .

لم تناقشة (فرانسييس) ، ولكنها راحت تتسائل فى
أعماقها بمنتهى اللهفة ..
متى تحين تلك الفرصة المناسبة ؟ ..
متى ؟



كانت مفاجأة طريفة ، أن يلحق بهما (ثورنلى) و (فان
كورتلاند) فى (بيرتيسو) ، واستمتع الأربعة حتى نهاية
الأسبوع بالسياحة وتسلىق الجبال ، وشعرت (فرانسييس)
بالارتياح لفراو (شيكتل) ، المسنولة بالفندق ، التى روت
لها قصة ابنتها ، التى تزوجت أحد معارضى الحزب
النازى ، ثم اختفت مع زوجها فجأة ، ودعتهما فراو
(شيكتل) لحضور حفل شعبى فى المساء ، فوعدتها
(فرانسييس) بالحضور ، على الرغم من أن (ريتشارد)
لم يكن يدرى هل من الممكن أن يذهبا أم لا ، فقد قرّر أن
يذهبا لزيارة منزل الدكتور (مسيليرون) هذا الصباح ،
ولم يكن يدرى ما الذى يمكن أن يقود إليه هذا ..

ولم يكن هناك مجال للتراجع ..
وبعد ساعات من بدء الصباح ، كانا قد بلغا المنزل ،
الذى يرتفع وحده ، فى منطقة شبه معزولة ، وقال
(ريتشارد) :

- ابتسمى يا (فرانسييس) .. لقد وصلنا .
ودق الباب الخارجى ، وفتحت الباب امرأة طويلة ،
سألها (ريتشارد) :

- هل يمكننى مقابلة الدكتور (مسبيرون) ؟
همت المرأة بقول شىء ما ، ولكن رجلا ظهر من
خلفها ، وأزاحها فى خشونة ، قال :
- نعم .. يمكنكما مقابلته .. تفضلا بالانتظار هنا ،
وسيأتى بعد قليل .

كانت مقابلة جافة غريبة ، وشعرت (فرانسييس) أنها
قد كرهت الرجل منذ النظرة الأولى ، ولكنها انتظرت مع
(ريتشارد) ، فى قاعة أنيقة ، بها بيانو ضخمة ، اتجه إليه
(ريتشارد) فى هدوء ، وأشار إلى النوتة الموسيقية التى
تعلوه ، والتى تحمل اللحن السرى لهما ، وقبل أن تعلق
(فرانسييس) ، ارتفع صوت يقول :
- يا لها من مصافاة !

التفتا إلى مصدر الصوت ، وشهقت (فرانسييس) فى
دهشة ، فالرجل الذى جاء لمقابلتهما لم يكن الدكتور
(مسبيرون) ، بل كان ألمانيا يعرفه كلاهما جيدا ..
كان (سيجر د فون آشنهاوزن) ..

★ ★ ★

كان (ريتشارد) هو أول من قطع حبل الصمت والذهشة ، وهو يقول فى لهجة بسيطة ، بذل جهدا خارقا للسيطرة عليها :

- عجباً ! .. لقد أتينا لمقابلة دكتور (مسيليرون) ، أو بالأصح لرؤية مجموعة الشطرنج النادرة ، التى يمتلكها ، ولم نتوقع أبدا رؤيتك هنا .

ابتسم (فون آشنهاوزن) ، وقال :

- ولقد التقيتما به .. إنه الاسم الذى أنتحله ، عندما أقيم هنا .. ولكن لماذا لم تخبرانى فى حفل (أكسفورد) ، أنكما تنويان القدوم إلى هنا ؟

أجابته (فرانسيس) بسرعة :

- لم نكن نعلم أنك تقيم هنا ، ثم إننا نتجول بلا برنامج مسبق ، ولم نكن نعرف حتى أننا سنأتى إلى هنا .

رمقها (فون آشنهاوزن) بنظرة شك قصيرة ، ثم لم يلبث أن استعاد ابتسامته المصطنعة بسرعة ، وهو يقول :

- إنها مصادفة طريفة على أية حال .

لم يكذبتم عبارته ، حتى سمع الجميع صوت ارتظام شيء ثقيل فى الطابق العلوى ، أعقبته خبطات متتالية ، ثم توقف الصوت فجأة ، وارتسمت الدهشة على وجهي (ريتشارد) و (فرانسيس) ، فقال (فون آشنهاوزن) بسرعة :

- إنه الكلب .. لقد حان موعد خروجه للنزهة ، ولكنه
عنيف في طريقة تذكرنا بهذا .

تبادل (ريتشارد) و (فرانسيس) نظرة جانبية ، ثم
اتجهت (فرانسيس) إلى البيانو ، وألقت نظرة على نوتته
الموسيقية ، وقالت :

- يا له من لحن جميل !

ثم فجأة ، وبلا مقدمات ، راحت تنشد ذلك اللحن بصوت
مرتفع ، وبدا التوتّر الشديد على وجه (فون آشنهاوزن)
وحارسه الخاص ..

ثم تكرر صوت الارتطام والطرقات أكثر عنفا هذه
المرة ..

وفي هدوء ، توقفت (فرانسيس) عن الغناء ،
وقالت :

- أغنية جميلة .

تنفّس (ريتشارد) الصعداء ، وقال محاولاً جذب انتباه
(فون آشنهاوزن) بعيداً :

- أديك مجموعة الشطرنج هنا ؟

هزّ (فون آشنهاوزن) رأسه نفياً ، وقال :

- لا .. ليست هنا للأسف .. لو عدت في الأسبوع
القادم ، فربما .

لم يتمّ عبارته ، عندما ارتفع صوت الارتطام مرة

ثانية ، ورمى حارسه بنظرة خاصة ، اندفع الحارس بعدها إلى الطابق الثاني ، في حين تبادل (ريتشارد) و (فرانسيم) التحية مع (فون آشنهاوزن) ، وانصرفا بسرعة ، وواصل سيرهما حتى بلغا الأشجار البعيدة ، فقالت (فرانسيم) في توتر :

- الأمر لا يبدو لي طبيعياً .

جذبها (ريتشارد) جانباً ، وهو يقول في حزم :

- بالطبع .. من هنا لا يمكنهم رؤيتنا من المنزل ..

تعالى .

فوجدت به يضع بعض الطين على جوربيها ، فهتفت معترضة :

- ماذا تفعل ؟

- أجبها في سرعة :

- الجوارب الحمراء يمكن رؤيتها على بعد أميال ،

ومن المحتمل أنهم سيحاولون تتبعنا .

سألته في ذعر :

- لماذا ؟

أجاب متوتراً :

- هذا الصوت الذي سمعناه هو صوت سقوط مقعد ثقيل

على الأرض ، والأرجح أنه هناك شخص مقيد فوقه ، راح

يضرب الأرض بقدميه ، ليلفت انتباهنا إلى وجوده ،
وخاصة بعدما سمعك تتشدين اللحن الصرى .

سألته في لهفة :

- ومن هذا الشخص في رأيك ؟

أجاب بلا تردد :

- (مبليرون) الحقيقي .

شهقت مبهورة ، ورأته يلوح بعصا التسلق ، قائلاً في

حزم :

- لو أن استنتاجي صحيح ، فسيروا حتماً من

بطاردنا . ثم استطرد مشيراً إلى ممر جبلي صغير أمامهما :

- هيا .. سنأخذ موقفاً أفضل .

كان السير عبر الممر بالغ الصعوبة ، والصخور حادة

كالمسكين ، ولكن (فرانسيس) تبعته ، وهي تنعى جوربيها

المتسخين ، وكادا يبلغان نهاية الممر ، عندما قال

(ريتشارد) فجأة :

- يا إلهي ! .. لقد بدأت المطاردة .

قالها وهو يشير إلى نقطة بعيدة ، ظهر عندها (فون

أشنهاوزن) ، وحارسه الخاص ، وكلب ضخم ، في حجم

أسد صغير ، وكان (فون أشنهاوزن) وحارسه يتلفتان

حولهما ، بحثاً عن شيء ما ، في حين كان الكلب يتبعهما في

سرعة ونشاط ، وهمست (فرانسيس) في هلع :

- إنهما لم يعرفا مكاننا بعد .

تمتم (ريتشارد) :

- لن يستغرق هذا وقتًا طويلاً .

رأت (فرانسيس) الرجلين ينطلقان ، فيصعد (فون
آشنهاوزن) نتوء التل في مهارة ، في حين تقدم حارسه
نحو المسطح ، الذي يختفيان عنده ، وبصحبة الكلب ،
فغمغمت :

- ينبغي أن نسرع .

تقدم معها (ريتشارد) في سرعة ، عبر الممر ، وهما
في سباق مع الحارس والكلب ، اللذين لم ينتبها إلى
وجودهما بعد ، وراحت (فرانسيس) تلهث في شدة ، من
فرط التوتر والانفعال ، و ...

وفجأة انتهى الممر ..

انتهى ليجدا نفسيهما أمام حافة رهيبة ، على ارتفاع
هائل من الأرض ، وهتكت (فرانسيس) في ارتياح :
- لقد وقفنا في فخ .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى سمعت لهاث الكلب من
خلفها ، وسمعت (ريتشارد) يهتف :
- اركدي على وجهك .

قفزت أرضاً ، ورأت الكلب ينقض عليها بأنابيه الحادة
المخيفة ..

وفقدت الأمل تمامًا ..

★ ★ ★

لم تدر (فرانسيس) في البداية ما حدث ..
لقد خفضت رأسها ، وشعرت بالكلب يثب فوقها ،
ويتجاوزها ، ثم سمعته يطلق حشرة رهيبه ، مع صوت
ارتطام بالأرض ، فالتفت خلفها ، ورأت الكلب على
الأرض ، يلفظ أنفاسه الأخيرة وقد اخترق نصل حاد
عنقه ، في حين وقف (ريتشارد) يلهث ، وهو يمسك
عصاته ، وقد انتزع من منتصفها شيئاً أشبه بسيف
طويل ، فقالت مرتجفة :

- إنك لم تخبرني أن عصاتك تحوى هذا الشيء .
أجابها لاهثاً :

- لم تأت ظروف مناسبة لأخبرك .

شعرت بالامتنان نحوه ، ونهضت واقفة ، ولكنها لم
تكذب ، حتى سمعت صرخة تأتي من أسفلها ، فنظرت
تحتها ، إلى الممر الجبلي السفلى ، ورأت ذلك الحارس
الخاص ، وهو يرمقهما بنظرة شرسة وحشية ، ويستل
مسدسه ليصوبه إليهما ..

ويدون أن تدرى ، وبدافع من غريزة البقاء ، اختطفت
(فرانسيس) صخرة كبيرة ، ورفعتها فوق رأسها ، ثم

ألقته بكل قوتها على الحارس ..

وكانت مفاجأة حقيقية للحارس ، الذي اختل توازنه ،
وسقط مستنسه ، وراح يلوح بذراعيه ، محاولاً التثبيت
بشيء ما ، ثم لم يلبث أن أطلق رصاصة طاشت في
الهواء ، وهو يهوى من حلق ، ويطلق صرخة مدوية ..
وشحب وجه (فرانسيمس) في شدة ، ولكنها شعرت بيد
(ريتشارد) تمسك بكفها ، وبصوته يعيد إليها اطمئنانها
وثقتها ، وهو يقول :

- فلنعد بسرعة .. لا ريب أن (فون آشنهاوزن) قد
سمع الرصاصة والصرخة .. لقد أصبح بقاؤنا مستحيلاً .
عادة أدراجهما عبر المعر ، ثم اتخذنا طريقاً جديداً ،
وراحا يعدوان عبره في سرعة ، حتى وصلا إلى الغاية ،
ثم اتجها نحو (بيرتيسو) ، وهتكت (فرانسيمس) :
- انظر يا (ريتشارد) .. إنهما (فان كورتلاند)
و (ثورنلي) .

لم يعلق (ريتشارد) ، ولكنه اتجه مباشرة نحو
(فان كورتلاند) ، الذي هتف في دهشة ، وهو يراها
على هذه الحال :

- ما الذي .. ؟

قاطعه (ريتشارد) ، قائلاً :



اختطف (فرانسيس) صخرة كبيرة، ورفعتها فوق رأسها، ثم ألقتها
بكل قوتها على الحارس ..

- أجلسها في السيارة ، واستعد للانطلاق في أية لحظة .. إننا نحتاج إلى تعاونكما .. هل أنتما مستعدان لهذا .

أجاب (ثورنلى) بحماس :
- بالتأكيد .

أجلس (ريتشارد) (فرانسيس) داخل السيارة ، ثم انصرف بسرعة ، متجها إلى الفندق ، مصطحبا معه (ثورنلى) ، في حين راحت (فرانسيس) تقول لـ (فان كورتلاند) في انفعال :

- لقد أنشدت اللحن ، وسمعنا الرجل ، وسمعنا صوت ارتطام ، ثم طاردنا الكلب وأطلق الرجل علينا النار ، و ... قاطعها (فان كورتلاند) في هدوء :

- اهدنى يا سيدتى .. وقصى على كل شيء .
أعطاهما قطعة من الشيكولاتة ، راحت تلتهمها في نهم ، وهى تروى له كل ما حدث بالتفصيل ، وجفناها يتناقضان في بطاء ، ثم ...
ثم راحت في نوم عميق .



٦ - فراو (شيكتل) تتدخل ..

بينما (ريتشارد) و (بوب ثورنلى) يتجهان نحو المنزل، قام (ريتشارد) بإخباره بما حدث بطريقة مختصرة، ومثلما فعلت (فرانسيس)، كان حريصا على أن يكون مبهما، فيما يختص بـ (مسبيرون)، ولكنه حكى ما حدث فوق الجبل، وإنقاذها له بالتفصيل، واستمع (ثورنلى) فى صمت، وعندما انتهى (ريتشارد) من حكايته، التى حكاها بصوت منخفض، قال :

- خسارة أنك لم تتخلص من الشخص الآخر أيضا .
كان المنزل مثلما وصفه (فان كورتلاند) .. صامتا كالقبر، وحاولا مع الباب الخارجى والنوافذ، ولكنها كانت محكمة الغلق، وكذلك الباب الخلفى، وهمس (ريتشارد) :

- إنها تنام مبكرا .

- من ؟

- الخادمة .. أو أنهم طردوها اليوم .

- ألا نستطيع كسر إحدى النوافذ ؟

- لا .. قد تكون نائمة فى غرفتها ..

ثم أشار إلى نافذة وقال :

- هذه ربما هي الغرفة التي نريدها .. هل يمكنك التسلق ؟

نظر (ثورنلى) الى النافذة ، وابتسم قائلا :
- سهل جدًا .

ثم قفز الى أعلى ، وتمسك بجانب المنزل ، حتى وصل إليها ، وأمسك بالإفريز ، ثم رفع جسده ببطء ، وعبر الى الداخل :

لقد بدا كل شيء فى منتهى البساطة ، حتى أنه من الصعب تصور الجهد الذى قام به ، واختفى فى سكون ، ووقف (ريتشارد) الى جانب المنزل ، وسمع صوت الشباك وهو يحاول فتحه ، ثم جاءه صوت (بوب) بهمس :

- إنه مغلق ، وعليه قضبان من الحديد .. سأحاول فى حجرة أخرى .

واختفى شبحه ؛ انتظر (ريتشارد) وقد بدت الدقائق مثل ساعات ؛ ثم سمع صوت نافذة تفتح ، وبدأ يلوم نفسه على أنه لم يحاول الصعود ، حتى مع كتفه المتعب ، وركبته المجروحة ..

ما الذى يؤخر بوب ؟ ..

وفى اللحظة التى كان يفكر فيها فى أسهل طريقة للصعود ، سمع صوت (ثورنلى) بهمس من أعلى :

- هيا .. ساعدنا .

كان يسند رجلاً آخر ، حتى يمر من فوق الإفريز ، ثم أنزله وهو يمسك معصميه ، واستعد (ريتشارد) ليحمل الرجل عندما يسقط ، وقال (ثورنلى) ونصفه إلى الخارج :

- أمسك .

أمسك (ريتشارد) جذع الرجل ، وتدحرجا معاً فوق الحشائش ، ثم قفز (ثورنلى) بخفة وساعدهما على الوقوف ، وسأله (ريتشارد) :

- هل أنت على ما يرام ؟

قال الرجل ، وهو يتعاطك نفسه ، وينظر من (ثورنلى) إلى (ريتشارد) :

- نعم .. شكراً .. من منكما كان هنا بعد الظهر ؟

قال (ريتشارد) :

- أنا .

استدار الرجل نحو (ثورنلى) ، وقال :

- هناك كوخ عند طرف الغابة ، إلى جوار شجرتين طويلتين .

ونظر (ثورنلى) حيث أشار الرجل ، الذى أضاف :

- فى ذلك الكوخ جهاز لاسلكى ودراجة بخارية .. هل يمكنك تعطيلهما ؟

قال (ريتشارد) ، و (ثورنلى) يتجه نحو الكوخ :

- سننتظرك فى السيارة .

ثم وضع ذراع الرجل حول كتفه ، وأمسك بخصره ،
وسارا معا ببطء نحو السيارة ..

كان من الصعب تحديد عمر الرجل ، فقد يكون بين
الثلاثين والخمسين ، متوسط الطول ، ونحيف جدًا ، له
شعر فى لون الفأر ، ولالون محدودا لعينيه ، كما أن صوته
عادى ..

وسأله الرجل :

- لماذا كنت هنا بعد الظهر ؟

- لقد جئنا من (انزبروك) للبحث عن (مسبيرون) .

- وهل وجدته ؟

- ليس هو من نبحث عنه .

- لماذا تتكلم بصيغة الجمع ؟

- أعنى أنا وزوجتى .

- تبدو وكأنك قد واجهت المصاعب .

- نعم .. لقد تركت زوجتى فى السيارة .

- لديك سيارة ؟ .. حسن .

- وكذلك هناك رجل أمريكى .. صحفى .. ولكنه لا بأس

به ، ويمكن الوثوق به .

- ابتسم الرجل ، وهز رأسه ، وقال :
- لا تتلق بمن يعملون بالصحافة .. إنهم دائماً يبحثون
عن الأخبار .. إذا سألت عني ، فاسمى (سميث) ، الذي
يساعد الهاربين من معسكرات الاعتقال .. هذا حقيقي
على كل حال .. ومن الآخر ؟ ..
- (طرزان) الأشقر .
- أعرف أخاه .
- سأكون سميث بالنسبة إليه أيضا .
- ووصلا إلى نهاية الأشجار ، ولم يسمع صوت أقدام من
الغابة فوقهما ..
- مازالوا في أمان ..
- وتمنى أن يحضر (ثورنلي) ، فقد كان ثقل الرجل
بنهكه ، ولكنه سأل :
- كيف تشعر الآن ؟
- إتنى أشعر بالتحسن .. أنا سعيد بالحرية مرة
أخرى .
- كيف أمسكوا بك .
- الرجل الذي تظاهر بأنه (مبليرون) ، كان من
المفروض أنه يتعاون مع حركة المقاومة ، بل إنه ساعد
في هروب بعض الناس ، ووصل إلى من خلالهم .. كيف
كانت (نورنبرج) و (انزبروك) ؟

- (نورنبرج) اضطر للهرب و (انز بروك) كانت لديه شكوك عن شيء ما .

ما الذى حدث للرجلين ، اللذين كانا يسجنائى فى المنزل ؟

- لقد تعقبانا فوق الجبل .. (فون آشنهاوزن) ربما يعود الآن ، أما الآخر فقد سقط من أعلى .

قال الرجل ، وهو ينظر إلى بعض الحروق فى يديه :
- لا بأس .. والكلب ؟
- مات أيضا .

ابتسم (سميث) ، وقال :

- لقد قمت بمهمة جيدة .

عندما وصلا إلى الكوبرى ، لحق بهما (ثورنلى) ، وقال :

- لقد كانت هناك أيضا دراجة الرجل الخنزير ، وقد قمت بكسر عجلاتها أيضا .

نظر (ريتشارد) نحو الغابة والجبل ، اللذين كانا يكتنفهما الظلام الآن وقال لـ (سميث) :

- هل يمكنك الجرى إذا ساعدناك ؟

- سأحاول .

وحمله فيما بينهما ، وأخذا يجران ويجرونه معهما .

وسمعهم (هان كورتلاند) ، وأدار محرك السيارة ، وفتح الباب الخلفى استعدادًا لهم ، ووضعها (سميث) بالداخل ، ودخلا وراءه ، وفى الحال بدأت السيارة تنهب الأرض فى طريقها إلى (بيرتيسو) ، وانحنى (ريتشارد) إلى الأمام ، ينظر إلى (فرانسيس) ، وكانت ماتزال نائمة ، وسأل :
- كيف حالها ؟

قال الأمريكى ، دون أن يدير رأسه :
- مذهشة .. ستكون على مايرام عندما تصحو .
عاد (ريتشارد) بظهره إلى الوراء ، وقد اطمأن عليها ، وفجأة ضحك (ثورنلى) ، قائلاً :
- إننى لم أشعر بمثل هذه البهجة من مدة طويلة .

قال (ريتشارد) :
- يسعدنى أنك استمتعت بذلك .
فقال (سميث) :
- وأنا كذلك لقد سررتنى رؤيتك .
سأله (ريتشارد) :
- هل كنت مقيذا طوال الوقت ؟
- نعم .. خصوصًا عندما يقترب أى زائر من المنزل ،
وكانا يكتمانى أيضًا ، وفى الليل يقيدون يدى فى السرير ،
وفى النهار كان أحدهما يقوم على حراستى .

قال (ريتشارد) :

- يسعدنى أنك ما زلت حيا .

قال (سميث) :

- ذلك أنهم كانوا يريدون منى معلومات كثيرة ، لن يستطيعوا معرفتها إذا مت ، كما أنهم كانوا يريدون مواجهة من يأتى بحثا عنى ، ويقع فى الشرك .
- وماذا عن الخادمة .

- (ترودى) العجوز .. كانت خائفة ، واضطرت للاستمرار فى خدمتهما ، ذلك أنهما هدداها هى وعائلتها ، وكانا يحبسانها فى حجرتها فى الليل .

اقتربت السيارة من القرية ، وقال (سميث) : سر فى الطرق المظلمة ، وابتعد عن ذلك الفندق ، الذى به حفل الرقص .

رأوا الأنوار حول المنصة خارج الفندق ، وسمعوا صوت الموسيقى من خلال الأشجار ، وسارت السيارة فى الظلام ، حتى وصلت إلى خلف سلسلة الفنادق ، عند البحيرة ، وسأل (سميث) بصوت هادئ :

- ماذا كنتم ستفعلون عندما تركتم القرية ؟

- (فان كورتلاند) و (ثورنلى) كانا سيرحلان بالسيارة ، أما أنا وزوجتى فكنا سنقوم بالتجول فى القرية .

فقال (سميث) للأمريكي :
- هل دفعت حساب الفندق ، وأخذت أمتعتك فعلاً
للرحيل ؟ ..

قال (كورتلاند) :

- نعم جميعها هنا يا كابتن .
- حسن .. يمكنك البقاء خارج الصورة إذن .

ثم قال لـ (ريتشارد) :

- أنت وزوجتك من الأفضل أن تتركا السيارة على بعد
من الفندق ، أو ربما من الأفضل أن تذهب أنت وحدك ..
هل يمكنك أن تتذكر الأشياء التي ستحتاجها ؟ .. ولا تنس
علبة أدوات التجميل ، خصوصاً طلاء الرموش ، وكذلك
أحضر بعض الملابس لى أيضاً ، والنقود .. هل هناك أكثر
من مدخل للفندق ؟ حتى يمكنك الدخول خلسة دون أن
يراك أحد ؟

- إننا نتمكن فيلاً ، وأظن أنه من الأفضل أن نذهب
معا ، فذلك يكون أسرع .

- أفضل .. سنذهب نحن بالسيارة إلى الطرف الجنوبي
من طريق الساحل .. هناك بعض الأشجار ، والأرض
مغطاة بالحشائش ، بالقرب من آخر فندق ، سننتظر
هناك ، إن الليلة حالكة ، ولن يرتفع القمر إلا بعد مرور
بعض الوقت .

هز (ريتشارد) (فرانسيس) بلطف ، وجلست تنتظر
حولها متحيرة ، وقال (فان كورتلاند) ، وهو يبتسم :
- اذهبي الآن مع (ريتشارد) وستنتظركما .. حظ
سعيد .

قال (ريتشارد) ، وهو يخرج من السيارة إلى الظلام
الحالك :
- شكرا لك .

ووضع ذراعه حول (فرانسيس) ، يساعدها على
السير ، ومضت السيارة في صمت ..
كانت الفيلا أمامهم على بعد بسيط ، ولاح لهم ضوء
بداخلها .. كان النور المنبعث من المطبخ ، وكانت
مجموعة الفنادق حولها صامتة ، ولكن حجرات النوم كانت
مضاءة ، كما لو كان جميع النزلاء قد صعدوا للنوم ، أما
من كان سيذهب إلى الحفل ، فلا بد أنه قد خرج ، لأن
الطريق كان خاليا أيضا ، فدخلوا إلى الفيلا في سكون ،
وصعدا متسللين إلى حجرتهم ، وقام (ريتشارد) بإغلاق
النوافذ ، وشد الستائر عليها ، وأشعل شمعتين صغيرتين ،
حتى لا يظهر ضوء من الخارج ، ونظرت (فرانسيس)
نحو السرير ، فقد كانت لديها رغبة شديدة في النوم ،
ولكنها رأت على حافته رداءً تقليدياً جميلاً مزركشاً ، أشار
له (ريتشارد) بتعجب ، فقالت :

- فراو (شيكتل) أرادت أن أرتديه ، وأنا ذاهبة إلى
الحفل الراقص .

ثم خلعت جواربها المغطاة بالطين اليابس ، وأحضر
(ريتشارد) بعض الماء الدافئ المعطر ، وقطعة من
الإسفنج ، وقال لها :
- امسحي وجهك وكتفيك ..

وساعدها لتخلع ملابسها الممزقة ، ثم قام بوضع
قدميها في إناء به ماء دافئ لغسلهما ، وسمعا دقة على
الباب ، وجاءهما صوت فراو (شيكتل) ، تقول :
- هل يمكنني أن أدخل ؟

نظرا إلى بعضهما في قلق ، وفكر (ريتشارد) أنهما إذا
استمرا صامتين ، فربما تظن المرأة أنها أخطأت وترحل ،
ولكن الباب انفتح ببطء ، فقام واقفا ، ووقفت فراو
(شيكتل) بالباب لتقول :
- آسفة .. اعذراني .

وكانت في طريقها للذهاب ، عندما لاحظت ساق
(ريتشارد) وهيئة (فرانسيس) ، وهي تمسح جروحها
بالماء ، فدخلت وأغلقت الباب وراءها بسرعة في صمت ،
كان وجهها الطيب يملؤه القلق والخوف ، وأمسكت بقطعة

الإسفنج ، وركعت على الأرض لتغسل قدمي
(فرانسيس) ، وهي تقول :

- لابد أن تغسل أنت رجلك يا هر (مايلز) .. الجرح
عميق .. سأحضر لك أيضا بعض الماء الدافئ .
قالت (فرانسيس) :

- لا تفعلي من فضلك ، فلا يوجد وقت .

ثم عضت على شفتيها ، وهي تنتظر إلى (ريتشارد) ،
فقد كان من السهل أن يزل اللسان ، عندما تكون متعبة
ومتوترة ، ونظرت فراو (شيكتل) إليها ، ولكنها لم تتكلم ،
ثم جففت قدمي (فرانسيس) وساقها بخفة شديدة ،
وقالت :

- هل توجد صبغة يود ؟

ناولها (ريتشارد) الزجاجاة ، فوضعت قليلاً على ركلة
(فرانسيس) ، ثم على كتفها المجروحة ، وقالت :

والآن نضع بعض بورة الثلج فوق هذه الخدوش ، فلا
تظهر .

قالت (فرانسيس) :

- لقد تهنا فوق الجبل .

قالت فراو (شيكتل) ، وقد أعطت ظهرها

لـ (ريتشارد) ، الذي يبدل ملابسه :

- لقد عرفت أن شيئاً قد حدث لكما .. وكان صديقكما
قلقين كذلك .. لقد رحلا منذ ساعات ، والآن لن تذهبا
بالطبع إلى الحفل .. كم كنت أتمنى أن أراك ترتدين هذا
الثوب .

قالت (فرانسيس) :

- وأنا أريد أن ألبسه أيضاً ، فقد نذهب إلى الحفل .
ونظرت إلى (ريتشارد) ، فوجدته قد ارتدى قميصاً
نظيفاً وشورتاً ، فهزت رأسها ، وقالت ببطء :
أعتقد أنكما فى مشكلة .

ولم يتكلم (ريتشارد) ..

كان يوزع نقوده ، ودليله الجغرافى ، وخطاب الضمان ،
وجواز السفر على جيوب سترته المصنوعة من التويد ،
وكان يفكر فى كيفية مغادرة المنزل ..

هل يقوم بتقييد وتكميم فراو (شيكتل) ، وحبسها فى
الحجرة ؟

ماذا يفعل ؟

وقالت (فرانسيس) ، وقد ارتدت الثوب ، وصلّفت
شعرها ، ووضعت المساحيق على وجهها ، ثم استدارت
نحو فراو (شيكتل) ، وهى تصوى بيدها المربلة فوق
الثوب :

- إنه جميل جدًا يا فراو (شيكتل) .. إننى أخاف أن أفسده لو ارتديته .. ربما من الأفضل أن ...

قالت فراو (شيكتل) بصوت حزين :

- لا .. إنه رداؤك الآن .. لا حاجة لى به .

كان (ريتشارد) يطوى حلة وقميصنا ورباط رقبة

وجوارب ل (سميث) ، فقالت :

- أنتما راحلان ؟

قالت (فرانسيس) :

- نعم .

- ستحتاجان طعامًا للرحلة .. أهم هؤلاء النازيون ؟

هزت (فرانسيس) رأسها ..

- لقد عرفت ذلك ، عندما حضر ذلك الرجل يبحث عنكما

هذا المساء .. يجب ألا يمسكوا بكما ، كما فعلوا مع

ابنتى .. عندما تخرجان استعملا الباب الخلفى ، من خلال

المطبخ ، وساعد لكما الجبن والخبز ، وأرجو أن ترحلا

بسلام .

قال (ريتشارد) :

- شكرًا لك يا فراو (شيكتل) .. أنت امرأة طيبة ،

وأرجو ، من أجل سلامتك ، أن تتذكرى أنك لم ترينا .. لقد

سمعنا فقط ندخل ونخرج ، وظننت أننا ذهبنا إلى

الحفل .. هل يمكنهم التعرف على هذا الثوب ، وأنه

بخصك ؟

- لا .. هناك الكثير مثله .. وقد مضى وقت طويل منذ كانت ابنتى هنا .. سأراكما بعد دقيقتين ، عند الباب الخلفى .

وخرجت ، وأغلقت الباب وراءها فى سكون . قامت (فرانسيس) بوضع المنديل الملون على رأسها ، وربطت طرفيه تحت ذقنها ، ثم ارتدت السترة القصيرة ، ونظرت إلى نفسها فى المرآة راضية ، ووضع (ريتشارد) لفة الملابس تحت إبطه ، وأمسك بذراعها ، وخرجا من الحجرة ، وقد تركا حاجياتهما وراءهما ، ونزلا السلم يتحسسان فى الظلام ، واتجها إلى المطبخ ، حيث أعطتهما فراو (شيكتل) لفة كبيرة ، دون أن تتكلم ، ولكن أيديهم تشابكت بحرارة لحظة طويلة ، قبل أن يذهبا ، وسارا بسرعة فوق الحشائش ، وفى ظلال الأشجار والمبانى ، فقد كان القمر يسطع بضوئه الفضى ، ووصلا إلى الفندق الأخير على شاطئ البحيرة ، وعبرا الطريق إلى مجموعة الأشجار التى حذوها (سميث) ، و (ريتشارد) يقاوم رغبته فى الجرى نحوها ، ثم سمعا صوت محرك السيارة الذى يدور ، وعادت إلى الخلف نحوهما ، وامتدت الأيدي تجذبهما إلى الداخل ، ثم اندفعت السيارة إلى الأمام ، وقال (ثورنلى) :

- أحسنّهما .

وهز (سميث) رأسه بارتياح ، وهو يتفقد الملابس التي أحضرها له (ريتشارد) ، وسأل :

- وظلاء الرموش ؟

قالت (فرانسيس) :

- نعم .. وكذلك الطعام .

وفتحت لغة الطعام ، وقامت بتوزيعه عليهم .

تغير الجو داخل السيارة ، وكان (فان كورتلاند) يمازح (فرانسيس) وهما يأكلان ، وعيناه على الطريق أمامه ، وقام (ثورنلي) بإخراج المصباح اليدوي ، حسب طلب (سميث) ، وساعد (ريتشارد) (سميث) على خلع ملابسه ، وتبادل النظر مع (ثورنلي) ، عندما خلع (سميث) قميصه ، وشاهدا آثار التعذيب على ظهره ، ولكن (سميث) لم يهتم ، وكان يصفر سعيدا ، وهو يرتدي ملابس (ريتشارد) ، التي كانت واسعة عليه ، ولكن لا بأس بها ، ثم بدأ العمل في وجهه على ضوء المصباح في حين كان (ريتشارد) يمسك امرأة حقيبة (فرانسيس) الصغيرة ، لينظر فيها (سميث) ، وهو يستعمل صندوق التجميل الخاص بـ (فرانسيس) بمهارة ، في تغيير ملامحه ، فقام بوضع المساحيق على وجهه ، لإخفاء

الكدمات وسود حاجبيه مغيرًا شكلهما ، وظلل التجاعيد في وجهه ، وأخذ يقص شعر رأسه بالمقص الصغير ، ثم طلب من (ريتشارد) أن يضع طلاء الرموش الأسود ، ويدهن له به شعر رأسه ، كما لو كان دهانا للشعر ، ذلك لأن راحتيه كانتا تؤلمانه ، من الحروق التي بهما ، وصُف شعره بعناية ، ثم قام بوضع بعض بودرة الوجه على فؤديه ، وكانت النتيجة أن تغير شكله تماما ، وقال (ثورنلي) ، وهو يبتسم :

- لن يعرفوك الآن أبداً ، إلا إذا نظروا إليك من ظهرك .
وضحك (سميث) لأول مرة ، وهو ينظف يديه ، والتفتت (فرانسيس) تنظر إليه ، وظلت محدقة به لاتصدق عينيها ، حتى أن (كورتلاند) أيضا رفع عينيه عن الطريق لحظة لينظر إليه ، وقال (سميث) :
- لابد أن نقف قليلا ، للتخلص من الملابس التي خلعتها .

وخرج (ثورنلي) ومعه الملابس المهلهلة ، واختفى في الظلام ، وعاد بعد فترة ، وعادوا السير بالسيارة ، وتذكر (ريتشارد) فجأة الماركات التجارية على ملابسهم ، التي أعطاهم (سميث) ، وقام بنزعها من أماكنها ، ثم أعطى (سميث) عصاته أيضا ، وقال :

- لا تفتحها إلا في مكان آمن ، حتى يمكنك غسلها ،
فعلينا بماء الكلب .. ثم ماذا عن جواز السفر ؟
قال (سميث) :

- لا تقلق يمكنك الحصول على جواز .. على فكرة
عليك أن تتجه إلى هذا العنوان في (انزبروك) وسندبرك
ولزوجتك جوازات سفر .

وكتب العنوان على ورقة من مفكرة (ثورنلي) ،
وأعطاهما إلى (ريتشارد) ، وسأله (فان كورتلاند) :
- هل لديك نقود ؟

قال (سميث) ، وهو يربّت على جيبه :
- نعم هنا .

ونظر إلى (ريتشارد) نظرة العرفان بالجميل ، وقالت
(فرانسيس) فجأة وبانفعال :

- (ريتشارد) .. لقد تذكرت شيئاً الآن .. ماذا عن
حساب الفندق ؟

وضحك الجميع ، بما فيهم (سميث) ، وقال
(ريتشارد) :

- لقد تركت نقوداً تكفي في حقيبة ملابسي هناك .. إنهم
سيقومون بتفليشها كما تعلمين .

كانت السيارة قد دخلت شوارع قرية (جينيبيك) ،

و (سميث) يراقب الطريق المظلم من النافذة ، وقال
لـ (فان كورتلاند) :

- توقف عند تلك الناصية .. المحطة إلى اليسار منها .
ثم استدار نحو (ريتشارد) ، قائلاً :

- لقد سببت لك متاعب جمّة ، ولكن قد يخلف عنك أن
تعرف أنني قد اكتشفت معلومات لها أهمية قصوى ،
وبصرف النظر عن إنقاذك لى ، ستكون أنت السبب فى
وصولها إلى المكان الصحيح ..
ثم قال لـ (فرانسميس) :

- شكراً لك على أغنييتك .. إلى اللقاء .

وهدأت السيارة من سرعتها ، ثم توقفت لحظة ، وراوا
خياله يختلط بخيال الأشجار على جانبي الطريق ..
كان يسير ببطء ، متحاملاً على عصا (ريتشارد) ،
وعلى رأسه قبعة (ريتشارد) ، تكاد تخلق عينيه ، واتجه
نحو المحطة ، فى حين دارت السيارة إلى اليمين ، فى
الطريق إلى (انزبروك) ..
والى المجهول ..

★ ★ ★

٧ - (انزبروك) مرة أخرى ..

كانت السيارة تنطلق بهم في سرعة ، وأصبحوا على بعد أقل من نصف الساعة من (انزبروك) ، وجلس (ريتشارد) يفكر في (سميث) ، ويتساءل في نفسه إذا كان فعلا سيركب ذلك القطار ، أو أنه هناك بيت صغير ، في مكان ما ، قريب من المحطة ، حيث يقطن أحد أصدقائه ، على كل حال ، لقد قاموا بكل ما في إمكانهم ، ويجب الآن أن يخرجوه من تفكيره ، وقال له (فان كورتلاند) :

- لقد كنت أفكر فيما سنفعل يا (هنري) .. أعتقد أنه من الأفضل أن نحذو حذوه ، ونترككما بمجرد أن نصل إلى أطراف (انزبروك) ، عندئذ يمكنك أن تصل كما لو كان لم يحدث شيء ، وأنتك فقط قد واجهت بعض المشاكل في محرك السيارة ، مما أخرك في الوصول .

قال (ثورنلي) :

- ولكن ذلك لن يكون حلاً جيذا بالنسبة لكما .

قال (ريتشارد) :

- سنتدبر أمرنا بطريقة أو بأخرى .. إذا حصلنا على جوازات السفر .

قال (كورتلاند) :

- وبعض المال .. لن تستطيع التصرف إذا لم يكن معك ما يكفي من النقود .. الشيكات السياحية أو خطاب الضمان لاجدوى منها الآن ، وذلك الرجل (سميث) أخذ كل ما معك .

لابأس .. فلا بد أنه فعل أكثر من ذلك لأناس آخرين ، كانوا فى مشاكل .

قال (كورتلاند) :

- ساعدوا بعضكم وسيساعدكم الله .. أليس كذلك ؟ .. هل لديك نقود يا (بوب) ؟ ، وألقى بحافظته إلى المقعد الخلفى ، والتقطها (ثورنلى) ، وأخرج ما بها ، وأضاف إليه نصيبه ، وعد المجموع ، ثم قال :

- إن ذلك يكفي فقط مصاريف جواز السفر ، فهم يتقاضون مبالغ كبيرة لذلك ، ستحتاج لأكثر من ذلك ، يمكننى صرف شيك فى البنك غذا ، ولكن كيف أوصول لك النقود ؟

قال (ريتشارد) :

- اسمع .. سنترككما على مشارف (انزبروك) ، ونسير إلى ذلك العنوان ، الذى أعطاه لى (سميث) .. لقد حددت المكان فى الدليل معى ، ويمكننا أن نصل إليه .. إننا

في ملايسنا هذه لن يتعرفنا أحد ، سنكون كأي زوجين
يسيران في ضوء القمر ، أما أنتما فما يجب أن تقولاه هو
أنا تركناكما بعد ظهر اليوم ولم نعد ، وكان عليكما مغادرة
(بيرتيسو) ، لأن (هنري) عنده موعد عمل هام ..
(هنري) حاول أن تقابل زميلك في العمل الليلة ، عندما
تصل (انزبروك) .. اجلسا في مكان عام معروف ، لتناول
بعض المشروبات .

قال (كورتلاند) ، وهو يبتسم :

- إنني فعلا محتاج إلى ذلك .

تذكرا أنكما لاتعرفان بوجود منزل بنوافذ حمراء ، أو
أنكما تعرفان شيئا عنا ، بعد أن غادرنا (بيرتيسو) عصر
اليوم ، وأنت يا (بوب) ، عندما تحضر النقود ، سيقوم
أحدنا بمقابلتك غذا ، حوالى الحادية عشرة صباحا ، قد
تقوم بذلك (فرانسيس) ، فتنكرها أفضل منى .. إن
المحطة ليست مناسبة ، فستكون حتما مراقبة ، كما أن
المطاعم أيضا خطيرة .

وفكر قليلا ، ثم أضاف :

- كنيسة (الفرنسيسكان) مكان مناسب ، فهناك الكثير
من السائحين يرتادونها صباح السبت ، ويمكنك التجول
حول ساحة الإمبراطور (ماكسميليان) ، وأمسك في يدك
مجلة أو جريدة ، وضع النقود في ظرف داخل المجلة ،
وعندما ترى (فرانسيس) ادخل واجلس في الكنيسة

نفسها ، واختار مكانا معتما ، وعندما تنتهى من تأملاتك
غادر المكان ، واترك المجلة فى مكانك ، عندئذ ستجلس
(فرانسيس) فى ذلك المكان .

أعاد (ثورنتلى) هذه التعليمات على سمعهم ، ليتأكدوا
من أنه قد استوعبها جيدا ، وقال (ريتشارد) :

- عندما يكون لدينا جوازات السفر والنقود ، سنعبّر
الحدود ، وأقرب نقطة للعبور هى (بريز) .

قال (كورتلاند) محذرا :

- إن بها حراسة مشددة .. الإيطاليون يحرسون جنوب
(التيرول) .

ربما نحاول عن طريق الجبال ، إذا كان القطار خطرا
من الحدود السويسرية .

- ثم بعد ذلك ؟

- نتجه إلى (باريس) .

متى تظن أنكما ستكونان هناك ؟

إذا واتانا الحظ ، سنترك (انزبروك) يوم الأحد ، وقد
نكون فى (باريس) فى نهاية الأسبوع القادم ، وسنترك
لكما خبرا فى القنصلية ، وسنحتفل معا هناك .

قال (كورتلاند) :

- أتمنى ذلك ، ولكن لدى عمل ... سأراكما فى
(انجلترا) بعد ذلك ، فى طريقى إلى وطنى ، فلدى
عنوانكما ، وعندئذ تخبرانى بالقصة كلها .

قالت (فراسيس) :
- نعدك بذلك ، ولا بد أن تحضر لرؤيتنا .

ثم قال (كورتلاند) :
- أكره أن أكون نذير شوم ، ولكن ماذا لو حدثت لكما
مشاكل في (انزبروك) ؟

سننتصل بك هاتفياً ، وإذا لم نستطع عندئذ ، فالأمر
خطير ، وأيضاً بالنسبة لك لو ساعدتنا ، لقد زججنا بك في
مشاكل كافية .

سأنتهي من عملي هنا في منتصف النهار غداً ،
وسأكون خالياً لمدة يومين ، وإذا ما احتجتما إلى ، أتركاً
رسالة في الفندق ، تقول : إن جريدة (التايمز) تطلبني في
مهمة ، وسأعرف أنها منكما ، وسأخبر (بوب) .

قال (ريتشارد) :
- هناك أمر هام يا (هنري) .. أرجوك أن ترسل برقية
إلى (جنيف) صباح الغد ، لاتنس ذلك .. أبرق بأن (الحجز
لم يبلغ ، وسنصل يوم الجمعة) ، واحفظ هذا العنوان .. هل
حفظته ؟ حسن ذلك مهم جداً .

وبدأت أنوار المدينة تلمع أمامهم ، وفجأة قال (فان
كورتلاند) بصوت هادئ :

- يؤسفني أن أقول إن هناك سيارة تتبعنا منذ مدة ..
لقد لاحظت أنوارها ، ولكنها مازالت بعيدة .. أخشى أن
تكون لأصدقائكم .. سأبطيء عند الناحية القادمة ..
استعدا .

قال (ريتشارد) :

- لن نشكركما ، إلا عندما نراكما في (باريس) أو
(أكسفورد) .. إلى اللقاء إذن .. لا بد أن نلتقى .. وتذكر
البرقية .

قالت (فرانسيس) ، وهي تنزل من السيارة بسرعة :
- سنراكما .

ثم جرت مع (ريتشارد) ليختبئا في بعض الشجيرات ،
حتى مرت السيارة التي تتبع (فان كورتلاند) ، في طريقها
إلى المدينة ، وانتظرا بضع دقائق ، حتى خلا الطريق
تماما ، ثم سارا في صمت ، في ظلال الأشجار ، ووصلا
إلى منطقة المنازل بسهولة ، ووجدا أمامهما شابا وفتاة ،
وقد تشابكت أيديهما وكان الشاب يتكلم والفتاة تضحك
وهي تنظر إليه ، وقال (ريتشارد) :
- انظري .. منفعل مثلها .

وسارا بنفس الخطوة ، محافظين على المسافة
بينهما ، ووضع (ريتشارد) ساعده حول خصر
(فرانسيس) فضحكت ، وقال (ريتشارد) :
- هكذا .. تماما .

وضحكت (فرانسيس) مرة أخرى ، وتبعاهما نحو
الكوبري فوق النهر ، وأمام الكوبري كانت هناك مساحة
فضاء ، حيث تتقاطع طرق أخرى ، جاء منها آخرون من
الشباب والفتيات ، العائدين من تمشيتهم في ضوء

القمير إلى (انزبروك) ، كما كانت هناك بعض السيارات ،
التي أوقفها اثنان من الشرطة ، عند اقترابها من
الكوبري ، نظر (ريتشارد) إلى (فرانسيس) ، وقال لها
بعض كلمات بالالمانية ، وكان الشاب والفتاة أمامهما
وهما يعبران الكوبري ، ونظر إليهما الشرطيان نظرة
خاطفة ، ثم أوليا اهتمامهما إلى سائق السيارة الواقفة
أمامهما ، وبمجرد أن مرا من فوق الكوبري ، دخل
(ريتشارد) و(فرانسيس) في أحد الطرق الفرعية ، بعيدا
عن النهر ، ولكن الرحلة إلى المنزل الذي يريدانه كانت
كالكابوس بالنسبة لـ (فرانسيس) ، فقد احتفظ (ريتشارد)
بمشيته الهادئة ، ل يبدو أنهما عائدان إلى منزلهما من
تمشية مثل الآخرين ، أما هي فكانت تشعر بعضلات
ساقها وظهرها يؤلمانها ، وهي تجر قدميها ، حتى وصلا
إلى المنزل الذي أعطاهما (سميث) عنوانه ، ودق
(ريتشارد) الباب ، بالطريقة التي أوضحها له (سميث) ،
ووقفا ينتظران في الشارع الضيق المظلم ، وبدأ يتساءل
إذا كان قد أخطأ العنوان ، وأخذ يتنكر العنوان المكتوب
على الورقة ، والتعليمات التي فيها .. إنه ينكره جيدا ..
ودق مرة أخرى ، وفتح الباب بسرعة شديدة ، وعرف أن
شخصا ما كان واقفا وراء الباب ، ينتظر الدقة الثانية ،
وكان الظلام حالكا ، ولم ير (ريتشارد) من فتح الباب ،
ولكنه قال في صوت هامس :

- هز شولتز ؟ .

واتسعت فتحة الباب ، وقال صوت امرأة :

- ادخل .

وبمجرد أن دخلا أغلق الباب بترباس ضخم وراءهما ، وكان هناك ضوء ينبعث من الداخل ، وقادتتهما المرأة نحوه إلى حجرة صغيرة بسيطة ، ووضع الرجل الجالس فيها جريدته ، وأخذ ينظر إليهما يتفحصهما دون أن يتكلم ، وتكلم (ريتشارد) بالطريقة البافارية ، وأمسك الرجل بالجريدة مرة أخرى ، وقال :

- ولكن اسمي ليس (شولتز) .

تعلقت عينا (ريتشارد) بصورة الرجل ذي الشارب المضحك ، والشعر المدلى على جبينه ، المعلقة أمامه على الحائط ، وشعر بالعرق يتفصد من راحتيه ، ثم أدرك أنه ما يزال ممسكا بالورقة الصغيرة في يده ، فناولها للرجل ، ونظر فيها ، ثم ألقاها على المائدة ، وسأل :

- من الذي أعطاك هذه ؟

- رجل من (بيرتيسو) .

- هل كان اسمه (جيرولد) ؟

- لا .. (ميسلبرون) .

- من أين قدمت ؟

- من فوق الجبال .

نظر إليه الرجل ، ثم إلى (فرانسميس) ، التي كانت

تنعس على أحد المقاعد ، وقال :



تعلقت عينا (ريتشارد) بصورة الرجل ذى الشارب المضحك،
والشعر المدلى على جبينه..

- اجلس .

كان صوته الآن ودودا دافئا ، وكذلك نظرة عينيه ،
وقال :

- ارتح .. هل أنتما جانعان ؟

هز (ريتشارد) رأسه ، وفي الحال تركت المرأة مكانها
وراء الباب ، حيث كانت تقف ، وخرجت إلى المطبخ ،
وسمع (ريتشارد) صوت الأتية وهي تضعها على الموقد ،
وقال الرجل مرة أخرى :

- ارتح الآن .. وكيف حال صديقنا من (بيرتيسو) ؟

- إنه الآن على مايرام .

- كان مريضا إذن .. هكذا ظننا ، فلم نسمع عنه من
مدة طويلة .. هذه أخبار طيبة .. وماذا عنك أنت ؟ قلت إنك
في حاجة إلى غرفة .. هل هناك شيء آخر ؟
- المعتاد .

- هل ستترك بلادنا السعيدة ؟

كان صوت الرجل مملوفاً بالسخرية ، وهو ينظر إلى
الصورة المعلقة على الحائط ، ثم قال :

- حسن يمكننا تدبير ذلك .. أين وكيف ستسافر ؟

- إلى (إيطاليا) .. ربما بالقطار .. وبأسرع ما يمكن .

- بالطبع هذا مفهوم .. يمكنكما أن تكونا أمريكيين ، أو

إنجليزيين فإنكما تشبهانهما .. هل تتكلمان الانجليزية ؟

هز (ريتشارد) رأسه بالنفي .

- إذن لابد أن تسافرا كألمان .. مارأيك في وظيفة مهندس أو معلم .. سأحضر لكما الملابس المناسبة ، ستدفع أكثر بالطبع ، ولكن ذلك يستحق كل (فينيك) ستدفعه .

- كم ستكلف العملية ؟

- كم معك أنت ؟

قال (ريتشارد) :

- ثلاثمائة مارك فقط ، ويمكننا الحصول على نقود إضافية لتذاكر القطار .

قال (شولتز) ، وقد ارتاح لإجابة (ريتشارد) :

- حسن جدًا ، ثلاثمائة مارك تكفى .

وقام من مكانه ، ومشى نحو (فرانسيس) ، وكان يعرج قليلا في مشيته .. كان في حوالى الأربعين ، أصلع الرأس ، ممتلئ القوام ، ونظرت (فرانسيس) إليه شاحبة صامتة ، ورات نظرتة المتفحصة من وراء منظاره السميك ، والابتسامة الطيبة على فمه ، وكان صوته حانياً وهو يقول :

- إنك تبدين خائفة منى .. لابد أن تختفى هذه النظرة

الخائفة من عينيك .. فى بعض الأحيان يبقى الناس عندنا هنا لمدة أسبوع ، حتى تختفى تلك النظرة لابد أن تكونى سعيدة جدًا ومبتهجة ، عند عبورك للحدود ، فأنت زوجة مهندس ، يأخذك زوجك لقضاء إجازة فى (فلورنسا) ،

ولكن لابد أن نغير شعرك .. إنه أجل من اللازم .. (ليزا) .
جاءت المرأة من المطبخ ، وهي تحمل وعاءين
للحساء ، يتصاعد منهما الدخان ، وقال (شولتز) :
- ليزا .. أى لون تعطين لهذا الشعر ؟ أسود ؟
- لا .. ليس مع هاتين العينين الزرقاوين .. البنى
يكون طبيعياً أكثر ..

- حسن .. اجعليه بنياً .. بنياً باهتاً .. يمكننا أن نبدأ
الليلة .. الصبغة والصور ، وغداً يمكننا إحضار الملابس
والأوراق ، وبذلك تسافران غداً فى الليل ، والآن تناولوا
الطعام .

أعاد صحن الحساء الساخن الحياة إلى (فرانسيس) ،
ووضعت يداها الباردتين حوله ، وشعرت بالدفء يسرى
إليها ، ونظرت إلى الساعة على المنضدة .. كان الوقت
يقترّب من منتصف الليل ، شعرت بالدفء والأمان لأول
مرة منذ ست ساعات .

كان الرجل يراقبها فى فضول ، وقال بلطف :
- كللى .. الحساء جيّد اليس كذلك ؟ ثم قال
لـ (ريتشارد) :

- لقد واجهتما المصاعب .

- نعم .

- هل ستستطيعان السفر غداً ؟

ابتسم (ريتشارد) ، وهو يعرف قوة إرادة
(فرانسيس) ، وقال :

- نعم .. سنكون على ما يرام .. يمكننا الاستمرار حتى نصل إلى (إيطاليا) ، وبعدئذ .. لا بهم .

- عندما ذكرت (إيطاليا) فكرت أنه من الأفضل لكما أن تعبرا الجبال ، فالخطر أقل ، ولكن ..

ونظر إلى (فرانسيس) ، وإلى حالتها ، وقال :

- أظن أن القطار مناسب لكما ، وسنحاول جهدنا لتجعله آمنا .. هل أنت مستعدة يا (ليزا) .. حسن جدًا .

انتهى (ريتشارد) من الأكل ، وبدأ الرجل يقص له شعره ، في حين قامت المرأة بوضع بعض الآتية والزجاجات على المنضدة ، وشعرت (فرانسيس) بعينيها تغمضان ، وقال الرجل :

- إذا أمكن نقلها في هذا المقعد قبل أن تنام ، ستقوم (ليزا) بالعمل في شعرها ، ثم بعد ذلك تذهب للنوم في الدور العلوى .

انتقلت (فرانسيس) إلى ذلك المقعد ، ووضعت رأسها على ظهره ، وأغلقت عينيها ، وهي تشعر بيدي المرأة فوق شعرها تبأله .

وعندما أيقظوها بعد فترة ، رأت (ليزا) تنظر إليها بابتسامة كانت كافية ، لتعد (فرانسيس) لما ستراه في المرأة الصغيرة ، التي ناولتها إياها ..

كان شعرها أسوأ مما توقعت .. بنى باهت لحياء فيه ، وقد شذ إلى الوراء ، وعقص خلف عنقها ، كان

(ريتشارد) أيضا يبتسم ، ثم رأت رأسه وقد حلق شعره كله ..

كان منظره غريبًا ..

وضحكت ..

وكان الرجل يضع آلة تصوير فوق بعض الكتب على المنضدة ، وقال مبتسمًا بشجعها :

- هذا أفضل .. الجميلات يجدن في العادة صعوبة في الهرب .. الآن اجلسي هنا معتدلة ، وسننتهي من التصوير في الحال ، وتذهبين للنوم .

كذلك قام بتصوير (ريتشارد) ، وقد فتح عينيه بشدة ، وذقنه إلى الأمام ، مما أعطاه تعبيرًا غريبًا ، وقال (شولتز) وهو يهز رأسه :

- حسن جدًا .. هذا هو مانريده ، ثم تبعا المرأة إلى أعلى ، على ضوء شمعة ، وساعدها (ريتشارد) على خلع ملابسها ، قبل أن تستغرق في النوم .
نوم عميق جدًا ..

٨ - (فرانسييس) هي (فرانسييس) ..

استيقظت (فرانسييس) ، وهي تشعر بأنه هناك شيء عليها أن تفعله ، ونظرت حولها في الحجرة الغريبة ، وبدأت تتذكر ما حدث في الليلة السابقة ، ووضعت يدها على شعرها ، وجدته جاف الملمس خشناً ، لم يكن ذلك حلماً فـ (ريتشارد) إلى جانبها ، حلق الرأس مثل طفل يشكو من الحمى ، وكان ما يزال نائماً ، وشعرت بنفسها بغلبها النعاس مرة أخرى ، ثم وقع نظرها على حقيبة يدها ، موضوعة على منضدة صغيرة ، وتذكرت النقود ، وخرجت بمرعة من السرير ، وهي خائفة أن تكون قد تأخرت على موعدا مع (بوب ثورنلي) ، وبعد لحظات من الدوار الخفيف تماكنت نفسها ..

لقد أفادها النوم بعمق ، وتحسنت حالتها ، ونظرت في ساعة (ريتشارد) ، وعرفت أنه ما يزال أمامها وقت كاف ، فآغتسلت ، وارتدت ملابسها ، ووضعت بعض المسحوق على وجهها ، حتى تخفى لون بشرتها الوردي ، ثم مسحته قليلاً .. لقد تغير مظهرها بهذا الشعر البني الباهت ، في لون الفأر ، ولكن لا يمكن أن تغير من

عينها على كل حال ، ومالم تقابل شخصا يعرفها جيدا ،
فلن يستطيع أحد أن يظن أنها تلك الفتاة الإنجليزية
الشقراء ، التي لا بد وأنهم وزعوا أوصافها ، وسرحت
شعرها ، وعقدته من الخلف ، كما فعلت المرأة (ليزا) بها
أمس ، وقيل أن تغامر الحجرة ، فتحت دليل (ريتشارد) ،
وتأكدت من الطريق إلى كنيسة (الفرنسيسكان) ، ثم أخذت
معها بعض النقود الصغيرة ، من جيب (ريتشارد) ، حتى
يمكنها دفع تذكرة الترام ، وتذكرة الدخول إلى الكنيسة إذا
ما لزم ذلك ، ثم قبلت (ريتشارد) بخفة على جبينه ،
ونزلت إلى أسفل .

كانت (ليزا) في حجرة المعيشة ، وبدأت عليها الدهشة
لرؤيتها :

- لقد ظننت أنك ستنامين طوال الصباح .

- لا بد أن أخرج .

هزت المرأة رأسها محدرة ، واستطربت هي تقول :

- لا بد لي من الحصول على النقود لرحلتنا .

وافقت المرأة على ذلك ، وقالت :

- اشربني بعض القهوة أولا .. سأحضر لك فنجانا .

وذهبت إلى المطبخ ..

كانت (ليزا) مقبولة الشكل ، وطيبة ، ولكنها تتكلم
بطريقة عملية ، ولا تحب الثثرة ، وارتاحت (فرانسيس)
لذلك ؛ فقد كانت تخجل من لهجتها البافارية ، وشربت

القهوة ، وهي تنتظر من النافذة إلى حديقة متواضعة خلف المنزل ، ثم قامت تريد الخروج ، فقالت المرأة :

- ليس من هذا الطريق ، اخرجى من هذا الباب ، واعبرى الفناء ، ثم ادخلى من الباب الذى فى نهاية الممر ، وسيرى داخل ذلك المنزل ، وستجدى نفسك فى محل أحذية .. قولى فقط وأنت تمرين إن ليذا أرسلتك ، وسيكون كل شيء على مايرام .

- أرجوك أن تخبرى زوجى أننى سأعود حوالى الثانية عشرة .

هزت المرأة رأسها ، ثم وضعت على كتفى (فرانسيس) شالا من الصوف ، وقالت :

- اتركى هذا فى محل الأحذية .

ولم تنتظر حتى تشكرها (فرانسيس) ، بل حملت أقداح القهوة ، واتجهت إلى المطبخ ، وبينما هى تدفع بابها ، ابتسمت ابتسامة ودوا ..

وحدث كل شيء كما قالت (ليزا) تماما ، ولم يتوقف الحذاء الجالس عن عمله لينظر إليها ، وهى تضع الشال على منضدة إلى جانبه ، كما لم يبد عليه أنه سمع كلماتها ، وخرجت إلى الشارع من المحل ، واختلطت بالمارة ..

كانت الزوجات يحملن حقائب مشغولة من الخيط ، ممثلة بالخضراوات ، والأطفال يتجمعون فى فتحات

أبواب المنازل ، وهم يلعبون ، ومشيت وقد تزايدت ثقتها
فى نفسها إلى نهاية الشارع ، وإذا تبعك قضيب الترام من
هنا ، فإنها ستصل بسهولة إلى شارع الكنيسة .. إن هذه
الطريقة أطول ، ولكنها آمنة ، كما أن لديها وقتاً كافياً ..
مشيت وسط زحام الناس ، وشعرت بالأمان .. كانت
مجرد فتاة أخرى ترتدى الزى الشعبى ، وعند نهاية
الشارع الضيق المؤدى إلى الميدان ، الذى به الكنيسة ،
كان زحام الناس شديداً ، وحاولت (فرانسيس) أن تتجنب
سيدتين ضخمتى الجثة ، احتلتا فراغ الرصيف ، وأفسحت
لهما الطريق ، ووقفت إلى جانب نافذة حانوت يعرض
أحذية التسلى والأدوات الرياضية ، ثم اصطدمت بفتاة
تخرج من باب الحانوت ، وكانت فتاة طويلة شقراء ، وقد
امتلا ذراعاها ببعض اللفائف ، فتوقفت (فرانسيس) فى
دهشة ، ثم تمتعت بكلمات اعتذار ، ولكن الفتاة ظلت
واقفة ، وعيناها على وجه (فرانسيس) ، التى أسرعت
فى طريقها ، فقد كانت الفتاة هى (أنى) خادمتهم ، التى
تبدو تماماً مثلما كانت عندهم فى (أكسفورد) ، وقالت
(فرانسيس) لنفسها ، وهى تسير بسرعة :

- لقد نظرت إليها مباشرة أكثر من اللازم .. لقد عرفت
عينى ، أو ربما شعرت أننى أعرفها ، ونظرت إلى نفسها
فى نافذة متجر آخر ، ولم تجد هناك شبهاً كبيراً بما كانت
عليه ، ولكن عليها أن تراقب عينيها وطريقة مشيتها

كذلك ، وعليها ان تدق الأرض بكعبيها ، كما يفعلون هنا ،
وعندما وصلت إلى مكان الكنيسة ، وكانت على وشك
الدخول ، نظرت ورائها ..

كانت (أنى) ما تزال هناك ، وعندما نظرت
(فرانسيس) تقدمت (أنى) نحو الكنيسة أيضا ، ندمت
(فرانسيس) على هذه النظرة الثانية .. لقد كان ذلك غباء
منها ، وأسرعت فوق درجات سلم المبنى ..

كان المكان يعج بزوار يوم السبت ، ودفعت تذكرة
الدخول .. على الأقل ذلك سيمنع (أنى) من الدخول
وراءها إلى الكنيسة ، فإنها لم تكن تتلقى أكثر من
متطلباتها الضرورية فقط ، عندما كانت فى (أكسفورد) ،
ربما تظن الآن أنها قد أخطأت .

وعند ساحة الإمبراطور (مكسميليان) ، رأت
(ثورنلى) ، وكان يقف أمام تمثال الملك (أرثر) ، وفى يده
مجلة ، وشعرت بالراحة عند رؤيته .. إنه يبدو غير مبال
بما يحدث حوله ، وتجولت حول التماثيل الأخرى ، كما
كان يفعل الآخرون ، ولم تنظر إليه وهى تمر من أمامه ،
وبعد أن انتهت من مشاهدتها لجميع التماثيل ، دخلت إلى
الكنيسة ، وكان (ثورنلى) جالسا فى الظل ، واتجهت
نحوه ، فوقف ليدعها تمر ، دون أن ينظر أحدهما إلى
الأخر ، وترك المجلة فى مكانه ورحل ، وجلست إلى
جانبها ، وثوبها الفضفاض يغطيها ، وبعد عدة دقائق
مدت يدها تحت الثوب لتأخذ المظروف الصغير من داخل

المجلة ، وتخفيه في راحتها ، وانتهى الأمر ، وخرجت إلى الشارع ، ورفعت من على رأسها المنديل ، وبينما هي تلفه حول كتفها ، وتربطه من الأمام ، وضعت المظروف داخل صدرها ، ولم تر أثرا لـ (بوب) ، ولكن كانت (أنى) هناك .. لقد تخلصت من لفائفها ، وجلست في الميدان أمام الكنيسة ..

لقد رأت (فرانسيس) ، وأخذت تجرى نحوها ..
وعضت (فرانسيس) شفتها ..
لقد كان هناك جنديان أمام الكنيسة ، إذا حاولت تجنب (أنى) ستلفت نظريهما ، ولم يكن أمامها وقت للتصرف ، فإني قد لاحظا (أنى) وهي تجرى ..
وقالت (فرانسيس) بصوت فيه سعادة وحماس :
- (أنى) .. لم أرك منذ أسابيع .. كيف حالك ؟
نظرت (أنى) إليها في دهشة بالغة ، جعلتها لا تستطيع الكلام .. وكانت لهجة (فرانسيس) هي التي أدهشتها ، فلم تكن هي الألمانية السليمة ، التي كانت تتكلمها في (أكسفورد) ، ووضعت (فرانسيس) يدها بسرعة على ذراع (أنى) ، وقادتها إلى الأمام ، وهي تضغط عليها محذرة ، وقالت :

- كيف حال أمك وأبيك ؟

- في أحسن حال يا ..

وزاد ضغط يد (فرانسيس) على ذراعها ، مما جعلها تتوقف عن النقب .

- وإخوتك ؟

- على مايرام .

كانا قد ابتعدا في أمان عن الجنديين ، وابتسمت (فرانسيس) ، وهي تقول :

- لا تنتزعني يا (أنى) .. كل شيء على مايرام .

قادتها (أنى) إلى الحديقة الصغيرة ، عبر الميدان ، وفي ظلال وهدوء الأشجار ، قالت (أنى) ، وهي على وشك البكاء .

- يا إلهي ياسيدتي المحترمة .

- لا تقلقي يا (أنى) ، وأرجو ألا تنادينى بذلك .

- لقد عرفت أنه هناك مشاكل حدثت لكما .

- كيف ؟

- لقد عرفت أنكما كنتما هنا في (انزبروك) منذ أسبوع .. هناك صديق لأخي يعمل في الفندق ، الذي كنتما فيه .. كان يعرف أنني عشت في (أكسفورد) ، وأخبرني عن اثنين من النزلاء الإنجليز ، اللذين قدما من (أكسفورد) ، فعرفت أنكما هنا .

- كان اسمه (جوهان) .. أليس كذلك ؟

نضربت وجنتا (أنى) بالاحمرار ، وقالت :

- نعم .. عندما عرف أنني كنت أعيش معكما ، جعلته

يعدني ألا يخبر عائلتي عن وجودكما .

اندهشت (فرانسيس) ، وقالت :

- لماذا يا (أنى) ؟

بدا على (أنى) التوتر ، وقالت :

- أختى دائما لاتصدق ما أرويه عن (انجلترا) وعندما

أحكى لها عن منزلكما وملايمكما تضحك غير مصدقة ،

وإذا كانت قد عرفت بإقامتكما فى ذلك الفندق ، كانت

ستسخر منى .

- إننا أقمنا فى ذلك الفندق يا (أنى) ؛ لأننا نحب المدينة

القديمة .

قالت (أنى) :

- نعم .. أعرف .. وهذا هو ما قاله (جوهان) للبوليس

اليوم .

توقفت (فرانسيس) لحظة ، ثم قالت :

- (أنى) .. أخبرينى بكل ما تعرفين .

- لقد رأيت (جوهان) صباح اليوم ، فإننا نتقابل فى

العادة عندما أذهب إلى وسط المدينة بدراجتى .. اليوم

مبكرا وصل الجستابو إلى الفندق ، وأخذوا يفتشونه

ويسألون عنكما خاصة .. (جوهان) قال :

- إنه لايعرف غير أنكما من (أكسفورد) ، وفى

إجازة .

- وماذا عن صاحب الفندق ؟

- لقد ترك الفندق ، بعد أن تلقى مكالمة هاتفية مساء

أمس ، ولم يره أحد من وقتها ، لذلك كان (جوهان) هو

المسئول ، عندما جاء البوليس .

لم تتكلم (فرانسييس) ، فإن مستر (سميث) يبدو أنه
فكر في كل شيء ، وقام باخطار (كروستايئر) في الوقت
المناسب ، ولكن الآن افترض امرهما هي و(ريتشارد) ،
ولن يصدقوا اتهمهما مجرد سائحين ، ثم سألت
(فرانسييس) :

- هل البوليس يعرف أنك كنت عندنا في (أكسفورد) ؟
- لا .. (جوهان) لم يقل ذلك قط .. لم يرد ذكر اسمي .
- اسفة أننا تقابلنا اليوم يا (أنى) .. من الأفضل أن
أتركك الآن ، فهناك خطورة عليك .
- ولكن ياسيدتى لا بد أن أساعدك .. ما هي المشكلة ؟
- يجب أن ترحل من (النمسا) فوراً .
- صمتت (أنى) برهة ، ثم قالت :
- (جوهان) يمكنه أن يقودكما عبر الجبال .
- إلى (ألمانيا) ؟ ذلك أسوأ لنا .
- إنه أيضا يعرف جنوب (التيرول) .. لقد ولد هناك ..
- لقد هرب عبر الجبال ، عندما كان الإيطاليون يجندون
النمساويين للحرب في (الحيشة) .
- الحدود هناك عليها حراسة مشددة .
- حاولت (فرانسييس) أن تتذكر ما قاله (شولتز) ليلة
أمس ، عندما كان يغلبها النعاس ..
- لقد نصح بعبور الجبال ، أفضل من القطار .. إنها أيضا
لا تفضل القطار ، لأنه يكون أشبه بالمصيدة ، وقالت
(أنى) :

- ولكن هناك طرق لمن يعرف الجبال .. (جوهان)
يعرفها .

ترددت (فرانسيس) ، ولكنها قالت :
- لا يا (آنى) .. كما أن (جوهان) يجب ألا يتعرض
للخطر من أجلنا .

- إنه سيقوم بذلك ، لو طلبت منه .
- لا يا (آنى) .. لا تخبرى أحدا أنك رأيتنى ، ولا حتى
(جوهان) .

كانت (آنى) مازالت تفكر فى طريقة ، ثم قالت :
- لا يمكننى أن أطلب منك الحضور إلى منزلنا .. إن
أختى تكره الإنجليز ، على الرغم من أنها لاتعرف أحدا
منهم ، كما أن إخوتى لن يساعدوا ، فإنهم خائفون مثل
أبوى .

- شكرا جزيلا لك يا (آنى) ، ولكن لا تفكرى أنت أيضا
فى معاعدتنا .
بدأت (آنى) فى البكاء ، ونظرت إليها (فرانسيس) فى
أسى :

- أرجوك يا (آنى) لا تبكى .. سنكون على مايرام .
- أين سيذى ؟
- إنه ينتظرنى .. لابد لى من الرحيل الآن ، وإلا
سيقتل .

- أرجوك أن تخبرينى بالعنوان ، وعندما أفكر فى خطة
لكما ، سأحضر عصر اليوم لأخبرك بها .

خطرت لـ (فرانسيس) فكرة ، وقالت :
- تقولين إن (جوهان) يعرف طريقا جيبيا ؟ هل يمكنه
رسم خريطة لنا ، ثم تقومين أنت .. لا .. لا فائدة من
إرسالها بالبريد ، فقد يكون (شولتز) معروفا باسم آخر ..
كيف إذن ؟

قالت (أنى) :

- سأحضرها أنا لكما .

- إذن عليك بالحضور ، عندما يحل الظلام .. هل
يمكنك الخروج هذا المساء ، دون أن يشك في ذلك أحد ؟
- نعم فالיום السبت ، وأكون فيه مسنولة عن حانوت
أخى ، وفى العادة أتأخر فى العودة إلى المنزل .
- ولا تخبرى (جوهان) أن الخريطة لنا .. أرجوك
يا (أنى) .. فإن ذلك أسلم للجميع .. هل تستطيعين أن
تجدى سببا لطلبها منه .

قالت (أنى) :

- إنها يمكنها التصرف مع (جوهان) ، وأعادت على
سمع (فرانسيس) العنوان الذى أخبرتها به ، الليلة
ستضع الخريطة من تحت الباب الخارجى لذلك المنزل ، ثم
تسمى ذلك العنوان للأبد ..

وعدت بذلك ، وكانت تبتسم مرة أخرى و (فرانسيس)
تودعها ، قبل أن تفارقها ، كانت تبدو سعيدة لأنها ستقوم
بمعاونتهما ..

وعبرت (فرانسيس) الطريق ، وكانت أيضا سعيدة بهذا الحل ، إن هذه الخريطة ستكون مفيدة جدًا ، خاصة وأن القطار له خطورته .. إنهم يبحثون عنهما دون شك ، وفكرت في (كرومستاينر) .. سيراقبون القطارات ، وربما يفتشونها أيضا ، أما بالنسبة لاعطاء (آنى) العنوان ، فإنها ستبقى بوعدا ، وهى غير مشتبه فيها .. لن يتبعها أحد ، كما قد يفعلون مع (هنرى) أو (بوب) .. كما أن (آنى) لا تعرف أهمية المنزل .. إنه مجرد منزل ينزلون به بالنسبة لها ، وهناك الكثير مثله فى تلك المنطقة .

بدأ كل شيء يبدو سهلا ، وإذا قام (هنرى) بتوصيلهما إلى الحدود ، سيتبعون الممر عبر الجبال ، ويقابلون (هنرى) فيما بعد فى الناحية الأخرى .. الأمر أصبح بسيطا ، وتخيلت نظرة الارتياح فى عيني (ريتشارد) ، عندما تقول له هذه الخطة ، وشعرت بالسعادة ، ونسيت أنها إذا كانت تتظاهر بشيء ، فلا بد وأن تعيشه ، وتنسى شخصيتها هى ..

كان يجب عليها أن تكون فتاة نمساوية بسيطة ، ولكنها فى هذا الوقت كانت تستمتع بكونها (فرانسيس مايلز) ، ومشيت بطريقتها ، وخطوتها الخفيفة اللينة ، إذا أسرع لن تتأخر عن (ريتشارد) ، ورأها الرجل الجالس إلى منضدة عند نافذة المطعم ، بالقرب من الأمريكى والإنجليزى ..

رأى الفتاة النمساوية تمشي بهذه الطريقة المألوفة ،
وانتبه فجأة إلى أن لون شعرها ووجهها مختلف ، ولكن
كان هناك شيء مألوف أيضا في الوجه وشكل العينين ،
ومرت من أمام المطعم ، وعرف شكل الكتفين
والساقين .. لقد رأهما أمس فقط ، وهو يقف بباب المنزل
ذو النوافذ الحمراء ، وهي تسير مع زوجها يغادرانه ،
ولم يحاول التأكد من ظنه ، حيث كان الإنجليزي والأمريكي
يجلسان ، فقد توقفا فجأة عن الكلام ، وساد بينهما صمت
متوتر ، ونظر (فان كورتلاند) و(ثورنلي) إلى بعضهما ،
وقال (ثورنلي) :

- لقد خرج .. يا إلهي !.. لقد تعرفنا .

- هل أنت متأكد أنه ذلك الرجل .

- (ريتشارد) وصفه لي بالضبط .. الندبات في
وجهه ، والشعر الأشقر ، والسلسلة الذهبية حول
معصمه .

قال (فان كورتلاند) في وجوم :

- إنه يرى الأمر مهما ، لدرجة أن يتركنا وحدنا .

وقف (ثورنلي) فجأة ، وقال :

- سأتبعه ، وأتصل بك هاتفيا في الفندق ، إذا استطعت

معرفة المكان الذي سيأخذها إليه .. سأتصل بك على أية

حال .. عليك أن تبقى في الفندق ، وتنتظر مكالمة

(ريتشارد) .. لا بد أنه سيتصل بك ، عندما تتأخر

(فرانسيس) في الوصول إليه .

وأمرع بالخروج ، وقام الأمريكى بدفع الحساب وهو
مكتتب فعليه فقط أن يذهب إلى الفندق ، وينتظر المكالمات
الهاتفية .. حسن جدًا ، ولكنه بالتأكيد شيء ممل .

سار (ثورنلى) وراء الرجل الألمانى الطويل ،
وأمامهما الفتاة فى الزى النمساوى ، تمشى على بعد ، لم
يحاول الألمانى الإمساك بها ، بل كان يسير على بعد
منها ، حتى توصله إلى (ريتشارد) ، وعبر (ثورنلى) إلى
الناحية الأخرى من الشارع فى حرص ، ولكن إما أن
الألمانى لم يتوقع أن يتبعه أحد ، أو أنه لايهتم بذلك ،
فلا شيء الآن يمكن أن يضع حدًا للوصول إلى نهاية هذه
المصرية .. إنه يتحكم فيها الآن ، ولكنه لم يأخذ فى
حسابه ذكاء ذلك الإنجليزى الهاوى ..

ورأى (ثورنلى) عدة دراجات تقف خارج أحد
المقاهى ، وفى هدوء ركب إحداها ، وجرى بها وراء
(فرانسيس) ، وفى الحال خرج ثلاثة من الشباب من
المقهى ، ركبوا دراجاتهم ، وجرؤا وراءه ، وهم
يصرخون ، مما أثار انتباه جميع المارة فى الشارع ،
وكذلك (فرانسيس) ، فقد أبطأت من خطواتها ، ثم دخلت
فجأة فى شارع جانبى ضيق ، جرى الرجل الألمانى ،
وكذلك كانت هناك سيارة سوداء تجاهلت جميع قواعد
المرور ، وأمرعت نحوه ، وفوجئ بذلك (ثورنلى) ، ولام
نفسه لتصوره أن الألمانى سيكون وحده ، ورأى

الألماني يصدر تعليماته بسرعة للسائق ، وأسرعت
السيارة في أحد الشوارع التي تؤدي إلى مدخل الشارع
الجانبى الضيق ، الذى دخلته (فرانسيس) ، وترنـد
(ثورنلى) يفكر فى خطواته التالية ، ولحق به الشباب
الثلاثة الغاضبون ، الذين يرتدون الزي العسكرى ، فقال :
- آسف جدًا .. كنت سأعيد الدراجة إليكم .. لقد ظننت
أننى رأيت فتاة أعرفها ، وأردت اللحاق بها ، ولم يكن لدى .
وقت لأطلب الإذن منكم لاستعارة الدراجة .
ضحك أحد الفتية ، ولكن صاحب الدراجة كان ما يزال
غاضبًا ، حتى رأى النقود فى يد (ثورنلى) ، الذى قال فى
أدب :

- ذلك لأدفع ثمن استعمالى الدراجة .
وسأل الشاب الذى كان يبتسم :
- وأين هى الفتاة الآن ؟
- لقد دخلت فى هذا الشارع الضيق .
- ولكن هذا الشارع له مدخل آخر .. هيا معنا .. هناك
وقت للحاق بها إذا أسرعنا .
وجد (ثورنلى) نفسه يسرع بالدراجة ، وحوله الشباب
الثلاثة ، وكان الشاب الرومانسى بينهم سعيدًا بما يقوم
به ، أما الآخران فقد كانا يريدان التحقق من هذه الرواية ،
ووصلوا إلى مدخل الشارع الضيق من الناحية الأخرى ،
وكانت السيارة السوداء تقف هناك عند المدخل ، وهى

تستعد للسير ، وكان ظهر السيارة ناحيتهم ، وكان
الألمانى الطويل ذو التندبات فى وجهه فى طريقه للجلوس
فى المقعد الأمامى ، إلى جانب المسائق ، وفى الخلف كان
رأس (فرانسيس) يظهر بين اثنين من الأزياء العسكرية ،
فاختفى (ثورلى) وراء الفتيان ، وهم ينزلون من على
دراجاتهم ..

لقد توقفوا بمجرد أن رأوا السيارة المرسىدىس
المكشوفة ، وكانوا ينظرون إليه نظرة غريبة ، وسأله
الرومانسى فيهم ، وقد تغيرت لهجته تماما .
- هل هذه فتاتك ؟

هز (ثورلى) رأسه بالنفى ، وعيناه متعلقتان برقم
السيارة ، التى كانت تصرع فى طريقها .. وكانت تبدو
عليه خيبة الأمل ، وهو يقول :

- لا ... ولكن من بعد كان قوامها وساقاها مثل فتاتى .
كانت هذه الإجابة مثل النكتة بالنسبة لهم ، وابتسم مرة
أخرى الشاب وقال :

- من الأفضل لك أنها لم تكن هى ، فتلك التى فى
السيارة متواجه المصاعب فى (درايكر) ..
قاطعه الشاب الذى أخذ النقود ، قائلاً :
- إنك تتكلم أكثر من اللازم يا (فريتز) .

وتوقف الثالث عن الضحك ، وساد الجميع لحظة
صمت ، ثم قال (ثورلى) :

- ماذا لو تناولنا بعض أقذاح البيرة معا؟

اعتذروا في صرامة ، فقد كانت أمامهم اجتماعات بعد ظهر اليوم ، وكذلك هناك استعراض عسكري ، عليهم أن يرتبوا له ، وأصبحوا جميعا يتكلمون بأهمية عظيمة ، ثم ضربوا كعوبهم في بعضها ، يحيونه قبل أن ينصرفوا ، ولوح لهم (ثورنلي) بيده بطريقة مرحة ، وهو يشكرهم مرة أخرى ، وركبوا دراجاتهم ، ولكنه لاحظ أن الفتى الصارم فيهم أخذ يراقبه ، حتى رآه يدخل المقهى الذي اقترحه عليهم ، وظل (ثورنلي) به بضع دقائق ، حتى يتأكد من أنهم تركوا الشارع ، وحتى يكتب رقم السيارة الغريب ، ولينظر في دليل الهاتف ، ولكنه لم يجد أرقاما تحت اسم (درايكر) ، وترك المقهى ..

ربما عليه أن يحاول في مكتب البريد ، سيقول إن لديه خطابا يريد أن يرسله ..

ولكن لا ..

لقد تذكر (براغ) ..

إن مكتب البريد قد يكون خطرا ..

ليس من السهل اقتفاء أثر السيارة ، فذلك سيثير الشك بالتأكيد ، وتذكر النظرة الغريبة على وجه الشباب الثلاثة ، عندما رأوا السيارة ، وكيف أنهم توقفوا بسرعة على بعد منها ، ولكنه متأكد من أن الشاب ، الذي كان يتكلم كثيرا قد عرف (فون آشنهاوزن) ..

لقد كان ذلك واضحا ..

وترك الشارع بأسرع ما يمكنه ، واتجه إلى فندق (فان كورتلاند) .. كانت المحلات مزدحمة من حوله ، ورأى مكتبا للسياحة ، فدخل .. وكان هناك عدد من الناس ، يحجزون التذاكر لرحلات بعد ظهر ذلك اليوم ، وقد وقفت أعداد منهم حول مضايد مختلفة ، كل منها تختص بإحدى الرحلات السياحية ، وبجانب المنضدة المكتوب عليها (برينر) ، كان هناك رجل يقف في هدوء ، يراقب ويسمع ما يدور .. إنها الرحلة الوحيدة القريبة من الحدود ، ولاحظ (ثورنلي) أن هناك جمعا من الناس حول هذه المنضدة ، وقرّر أن يحاول ..

اقترب من المكتب المكتوب عليه استعلامات ، في نهاية الحجرة ، والذي كانت تجلس إليه فتاة تقوم بإعطاء رجلين جداول للرحلات ، وتتكلم معهما ، وتقدم (ثورنلي) بشعره الأشقر ، وسترته المصنوعة من التويد ، وحذانه المطاطي ، مما جعله يبدو متألّفا مع المكان ، وانتظر حتى انتهى الرجلان من الحديث ورحلا ، ثم اختار نفس الرحلة التي كانا يسألان عنها ، وقالت الفتاة وهي تبتسم :

- (كيتزبول) ؟ .. إنها رحلة يحبها الجميع هذه الأيام .. ستجد كل البيانات في هذا الكتيب .

فتحه (ثورنلي) ، ونظر في صفحاته الملونة ، كما فعل الرجلان قبله ، ثم نظر إلى الفتاة بابتسامة ، وقال :

- مدهش .

بدا على وجه الفتاة السرور ، وأضاف :

- والآن هل يمكن أن تدليني على مكان مكتب البريد ..

لقد وصلت لتوى إلى (انزبروك) .

- فى شارع (مكسميليان) .

- هل هو بعيد عن هنا .. لدى موعد قد أتأخر عليه .

- بعيد نوعاً ما .

- إن معى خطاباً أريد إرساله على الفور ، ولكن

العنوان ليس معى .. على أننى أذكر أنه يبدأ بكلمة (دراي)

.. (دراىكر) .

- آه .. (دراىكرتشن) .. لقد كانت عندنا من قبل

رحلات تذهب إليها ، ولكن الآن لا .

كانت تنظر إليه فى غرابة ، ثم سألت :

- هل تعرف أحداً هناك ؟

قال (ثورنلى) ، وقد انتبه :

- لقد أعطونى هذا العنوان منذ عامين مضياً ، ولكن

صديقى سيكون هناك إلى الآن ، فلم أسمع منه أنه رحل .

قالت الفتاة بصوت منخفض :

- هل كان ينتمى إلى الكنيسة ؟

قال (ثورنلى) :

- كان ما يزال يدرس وقتها .

كان من الواضح أن هذه الإجابة سليمة ، فقد قالت

الفتاة :

- لقد تغير المكان الآن .

- ولكن سيقومون بإعادة توجيه الخطاب .. سأرسله

اليوم بالبريد .. والآن بالنسبة لرحلة (كيتزبول) .
أتنصحيننى بالذهاب اليوم ، أو يوم الاثنين ؟

- اليوم سيكون المكان مزدحمًا .

- وهل يقوم الأوتوبيس من أمام هذا المكتب ؟

- نعم من الناحية المقابلة من الشارع .. أرجو أن

تمضى وقتًا سعيدًا هناك .

كانت الفتاة متعاونة ، ومن النوع الذى يحب أن يرضى

عملاءه ، وشكرها (ثورنلى) ، وخرج من المكتب ، وهو

ما يزال يتصفح الكتيب الذى أعطته له الفتاة ، وكان الصف

أمام منضدة (برينر) ما يزال طويلًا ، وذلك الرجل يتصنت

على كل طلب ..

وخرج (ثورنلى) إلى الشارع ، وتتفلس الصعداء ، ثم

وضع الكتيب فى جيبه للذكرى ، وعليه الآن التوجه إلى

فندق (فان كورتلاند) ، وتمنى أن يكون (ريتشارد) قد

انتابه القلق فعلا على (فرانسيس) ، وقام بالاتصال

بـ (هنرى) .

على الأقل هم يعرفون الآن اسم المكان الذى أخذوها

إليه ..

لو أن هذا يفيد .

٩ - الخطر ..

استيقظ (ريتشارد) فى الحادية عشرة ، وفى الحال شعر بالقلق ، وهو يرى السرير خاليا ، وأخذ يلوم نفسه لأنه لم يستيقظ مبكرا ، ليرى (فرانسييس) قبل خروجها ، بل إنه كان من الأفضل أن يذهب هو فى هذه المهمة .. وفى سرعة قام وحلق ذقنه بالماء البارد ، وارتدى ملابسه ، ونزل إلى أسفل ، وعندما جلس وضعت أمامه (ليزا) قدحا من القهوة السوداء المرة ، ولكنها ساعدت على أن يصفو ذهنه ، وقالت له المرأة إن (فرانسييس) ستعود فى الثانية عشرة ، وأخذ يقرأ الجريدة الصباحية ، وهو يحتسى القهوة ، ولم يجد ذكرا لحادثه (بيرتيسو) .. إذن فهم يتسترون عليها مؤقتا .. وربما يحاول (فون أشنهاوزن) جهده الآن ليعيد فشله إلى نجاح ، قبل الإعلان عما حدث ، حتى يتلافى الخطورة على نفسه إذا فشل ، وعليه أن يمسك بهما ، وإلا يواجه عواقب وخيمة ، وهذا سيجعل بالتأكيد هروبهما صعبا ، ثم هناك مسألة كرامته والانتقام ، إنها من خصائص الشعب الألماني ..

ومضى الوقت ، ومرت الساعة الثانية عشرة بوقت

طويل ، كانت المرأة متعاطفة معه ، ولكنها هادئة ،
وقالت : إنه لا داعى للقلق ، فشوارع (انز برونك) صعبة
بالنسبة للأجانب ، وأكدت له مرة أخرى أن (فرانسيس)
ستحضر ، ولكن الساعة أصبحت الواحدة ظهرا ، وبدأت
المرأة تقلق أيضا ، وتخاف على (شولتز) ، وعلى
نفسها ، ولم يلها (ريتشارد) ، وسألها :

- هل يمكننى استعمال تليفون قريب من هنا ؟

هزت رأسها ، وأشارت له عبر الغناء الخلفى إلى منزل
فى الشارع الجانبى ، وعندئذ رن جرس الباب ، ونظرا إلى
بعضهما ، وقد اختلط الأمل والخوف فى عيونهما ،
واختفى (ريتشارد) وراء باب غرفة المعيشة ، بحيث
يمكنه أن يرى من خلال فتحة صغيرة ، ورأها تفتح الباب
قليلا ، وأعطاهما شخص ما مظروفا ، ثم سمع صوتا
مألوفاً يقول :

- هل يمكننى رؤية الأستاذ البروفيسير ؟

فوجئ (ريتشارد) .

لا يمكن أن تكون هى .. لا يمكن ..

ولكن الباب كان قد فُتح أكثر ، ولا يوجد شك ..

وصاح :

- (أنى) ؟ .. ادخلى .

لم تتوقع المرأة ما حدث ، حتى أن (أنى) دخلت وعلى وجهها ابتسامة عريضة ، قبل أن تتكلم ، وأمسك (ريتشارد) ذراعها ، وشذها داخل الحجرة ، وقال ثانية :
- (أنى) .. كيف بالله جنت إلى هنا ؟

كانت (أنى) مسرورة من دهشته ، مثلما كانت تشعر عندما كانت تفاجئه ببطيرة لذيذة فى (أكسفورد) . وأخذت المظروف من يد المرأة ، وأعطته إياه بفخر . وقال فى نفسه :

- لا بد أنها رسالة من (فرانسيم) .. إنها تنتظره فى مكان ما ..

وفتح المظروف متلهفاً ، ولكن كل ما رآه صفحة من الورق ، عليها خريطة بدون كتابة . وقالت (أنى) ،
وهى تشير إلى دائرة صغيرة على الخريطة :

- هذه هى (برينر) .. لقد ظننت أنه من الأفضل عدم كتابة الأسماء على الخريطة ، وبدلاً من ذلك تقوم بحفظها عن ظهر قلب ، وذلك هو السبب فى أننى طلبت مقابلتك .
نظر إليها (ريتشارد) بمرعة ، وقال :

- كيف عرفت أننا بحاجة إلى هذه .. كيف عرفت عنوانى هنا ؟

- من سيدتى المحترمة .. ألم تخبرك ؟

- متى رأيتها ؟

- بعد أن خرجت من الكنيسة .

- فى أى وقت كان ذلك ؟

ظهر القلق على (آنى) ، وقالت :

- حوالى الثانية عشرة إلا ربعا ، فقد وصلت إلى

حانوت أخى بعد الثانية عشرة ، وهذا هو الوقت الذى

يحضر فيه (جوهان) ليرانى أيام السبت ، فأخى يذهب إلى

الجبال كل يوم سبت واحد ، ذلك لأنه يعمل مرشدا فى هذين

اليومين ، وأقوم أنا بمباشرة الحانوت فى غيابه ، وعندما

حضر (جوهان) جعلته يرسم هذه الخريطة ، وأحضرتها

لك على الفور .. لقد قالت لى السيدة المحترمة : أن

أحضرها فى الليل ، ولكن ذلك لأنها خالفة على فقط ،

ولكننى أحضرتها الآن ، فربما تريد الرحيل فورا .. كذلك

لم أخبر (جوهان) بشئ عنكما ، ووعدته أن أخبره

بالمسبب فيما بعد .. سيكون فرحا ؛ لأنه معجب بكما

كثيرا .

جلس (ريتشارد) برهة ، ورأت (آنى) وجهه

الشاحب ، وقالت :

- ألم تخبرك سيدتى بكل ذلك ؟ ما الأمر يا سيدى

البروفيسور .. أليست هنا ؟

قالت المرأة فى وجوم :

- لا .. إنها لم تعد بعد .

- ولكنها قالت : إن عليها أن تسرع .. لقد قالت : إنك

ستلقى عليها لو .. أوه يا سيدى .

تملك (آنى) الجزع ، لدرجة أن (ريتشارد) وقف

وأمسك بيدها ..

إذن مخاوفه كانت فى محلها ، فبينما هو ينتظر فى

قلق ، حدث شيء ما لـ (فرانسيس) .. لابد أن حدث

شيء ما .. لو أمكنه فقط أن يتخلص من ذلك القلق

الشديد .. ذلك ليس فى مصلحتهما ، أن يقف هنا ممسكا يد

(آنى) ، ولا يفعل شيئا .. لابد أن يفكر بسرعة .. لقد

مرت ساعة على تأخيرها .. وفى توتر ، قال :

- أخبرينى يا (آنى) .. كيف تعرفت مسز (مايلز) ؟

- لقد نظرت فى عينيها ، ووجدت أنها تعرفنى ، ثم

كانت هناك طريقة سيرها ، وشكل ساقها لأننى أعرفها

جيذا .

- إذن يمكن لشخص آخر يعرفها جيذا أن ...

لم يستطع أن يكمل كلامه ، وترك (آنى) ومشى نحو

النافذة ، وقف وظهره لهما ، ينظر إلى الحديقة

الصغيرة ، وفكر فى (فان كورتلاند) و (ثورنلى) .. لابد

أن يتصل بهما فوراً .. ولا بد أن يحتفظ بهدونه ، ويفكر فى الأمر بموضوعية ، حتى يجد حلاً .. العواطف تعوق ذلك ، والقلق قد يجعله يفقد (فرانسيس) للأبد .. واستدار لهما ، وقال :

- (أنى) .. هل يمكنك أن تعودى إلى الحانوت ، وتنتظرى هناك حتى يحضر إليك شخصان ، أحدهما أمريكى ، والآخر إنجليزى ، لشراء أحذية للتسلق ؟ سمعت (أنى) صوته الهادئ فى دهشة ، ولكن ذلك قلل من خوفها ، فإذا كان الهر بروفيسير يرى بعض الأمل ، إذن هناك حتماً أمل ..

واستمعت إلى وصفه للرجلين اللذين سيحضران لشراء أحذية التسلق ، وحفظت أسماءهما ، والرسالة التى عليها أن تخبرهما بها .. « (هنجر برج) .. الساعة الرابعة » .. ولم تتحمس (أنى) لهذه الرسالة ، فإن (هنجر برج) كانت كبيرة ، وقد لا يجد بعضهم البعض ، ولكنها آمنة بالنسبة لهم ، وقد يمر وقت قبل أن يتقابلوا ، وقالت :
- من الأفضل أن تقابلهم فى الحانوت بنفسك ، فإن ذلك يوفر الوقت ، وهناك حجرة مخزن فى ظهر الحانوت ، لها مدخلها الخاص ، يمكنك أن تنتظر بها حتى يحضر أصدقائك .. إن أخى ليس هناك ، و (جوهان) عليه أن

يذهب إلى الفندق بمجرد عودتي للحنوت .. لقد تركته
ليباشره حتى أعود من هنا ، ولن يكون هناك أحد غيري
بعد ذلك .

ومسخت من أي خطر قد تتعرض له ، وإذا حدث شيء
فإن (ريتشارد) سيكون مجرد زبون لا تعرفه ، كما أنه
هناك المدخل الخلفي ، الذي يقود إلى أفنية وأزقة ، ولو
حدث خطر ما ، فإنه هناك إمكانية الهرب ، وشعر
(ريتشارد) بأن ذلك الحل هو الأبسط والأسرع ، وقبله
مسروبا ، وخرجت (أنى) من الباب الخلفي ، وقد
وضعت الشال الذي أعطته لها (ليزا) على كتفها ،
وانتظر هو دقيقتين أو ثلاثا ، حتى تكون قد مرت من
المنزل الآخر ، وهو يأمل في يأس أن تعود (فرانسيس)
فجأة ، وكانت المرأة يبدو عليها القلق بوضوح ، ولكنها
برغم ذلك هادئة ومتعاطفة معه ..

إن هر (شولتز) سيعود الآن ، وقد أعدت له طعام
الغداء على المائدة ، ويمكنه أن ينصحهما ، وقدمت له
صحفا من الحساء ، وقد وضعت فيه قطعا من الزلاية ،
لا بد أن يأكلها ، ولكن (ريتشارد) رفض في ألب ، فقد كان
القلق يمزق أحشاءه ، وكانت عيناه على ساعته ..

ثلاث دقائق كافية لـ (أنى) .. وخرج وراءها ، وقالت
المرأة وراءه :

- قل : إن (ليزا) أرسلتك .

أنت جملة السر بمفعولها ، وطلب له الحذاء رقم
الهاتف ، ثم تركه وحيدا ليتكلم ، وسمع صوت (فان
كورتلاند) ، وشعر بالارتياح ، وقال :
- (فان كورتلاند) ؟

- نعم .. أنا .

وجاءت الكلمات بطلاقة .. قال (فان كورتلاند) :
- نعم مجلة (التايمز) .. آسف لأننى تأخرت فى
المقال ، لقد عرفت أنك ستتصل بى لهذا التأخير الذى
حدث .

- هل الأمر جاد ؟

كان (فان كورتلاند) يعرف بما حدث ، ووفر على
(ريتشارد) شرح الموضوع ، وقال :
- نعم .. الآن .

- حسن هناك مقال آخر ، لابد أن يكتب .. أوجه الجمال
فى جبال (التيرول) .. هل لديك معدات للتسلق ؟
- ليس أكثر من قدمى .

- إذا لم يكن لديك حذاء خاص .. احصل عليه بعد ظهر

اليوم ، فإن هذه مهمة عاجلة .. اذهب إلى محلات بيع الأدوات الرياضية .. هناك حانوت (شميت) أو (شبيجلبرجر) أو (رودي واتشر) .. الأخير حانوت جيد .. ستجده في شارع (برجراين) ، بالقرب من شارع المتحف .

- حسن .. سأذهب هناك على الفور .. أرجو أن أراك قريباً .

- سأراك قريباً .. أسرع في كتابة المقال .. لا تتأخر في هذا .

- بالطبع .. اعتمد على .. سلامي وتحياتي لـ (جيو فرى ريسون) .
- وقبلاتي لـ (لوسى) .

سمع (ريتشارد) ضحكة ، في الهاتف ، قبل أن يقطع المكالمة ، وعاد إلى منزل (شولتز) ، ليجده جالساً في غرفة المعيشة يأكل ، ولم ير أثراً لـ (ليزا) ، وأشار له (شولتز) ليجلس في أحد المقاعد ، ثم أشار إلى صحن الحساء ، ولكن (ريتشارد) صب لنفسه بعض القهوة ، وشربها دفعة واحدة ، وقال :

- لا بد لى من الرحيل حالاً .. فإن زوجتى ..
- أعرف .

ثم مسح (شولتز) شفتيه ، وشرب بعض الماء .
وتابع :

- أعرف .. (ليزا) أخبرتني .. إن أوراقك وملابسك
كلها جاهزة .

وأشار إلى مطروف كبير ، ولغافة من الورق الأصفر ،
على منضدة قريبة ..

كانت الوثائق تبدو مقنعة ، والصور على ما يرام .
قال (شولتز) :

- لقد انتهينا منها بسرعة ، فقد دفعت لى .. أما تزال
معك نقود ؟

قال (ريتشارد) :

- سألتقى ببعض أصدقائي .

- حسن .. حظ سعيد .

قال (ريتشارد) ببطء :

- قد يكونون قبضوا على زوجتي ، وقد يعرفون مكان
هذا المنزل .

شرب (شولتز) بعض الحساء ، قبل أن يقول :

- لا تقلق لهذا .. لقد قررت تغيير عنواني .. لقد رأيت

صديقك (كروستايئر) هذا الصباح ، في مكان عملي ..

لقد وصلته رسالة أمس ، من صديقنا الذي كان في

(بيرتيسو) ، ونحن الآن سننتقل مرة أخرى .. إن (ليزا) تجمع أشياءنا الآن .

وابتسم وهو يرى نظرة الارتياح على وجه (ريتشارد) ، الذي استعد للرحيل ، وسلم عليه بحرارة ، ثم قال (شولتز) فجأة :

- تشجع .. الشجاعة هي سلاحنا الحقيقي .. يمكنك أن تنتصر إذا احتفظت بشجاعتك .

هز (ريتشارد) رأسه ، وقال :

- آسف .. إذا كنا السبب في تغيير خططك .

- إنها دائماً تتغير ، ولكننا نستمر ، ولا تقلق بشأن

(كروستايئر) .. إنه على ما يرام .. لقد تغير شكله منذ زيارته لي هذا الصباح .

ورجع برأسه إلى الوراء ، وضحك مبتهجا ، ثم عاد

إلى صحن الحساء ، وقال :

- خسارة أن أترك هذه .

قابلت (ليزا) (ريتشارد) عند الباب ، وقالت :

- لقد تركت هذه الأشياء في حجرة النوم .

ثم أعطته علبة أمواس الحلاقة ، وحقبة

(فرانسيس) ، وشكرها وهي تضمهما إلى اللقافة من

الورق الأصفر ، وقال (شولتز) ، وهو يأكل آخر قطعة
من الزلابية :

- بعد خمس دقائق سرحل وراءك .. إلى اللقاء
يا صديقي وتشجع .

وابتمعت له (ليزا) لأول وآخر مرة ، وأغلق الباب
وراءه ، وكانت الساعة قد قاربت الثانية ظهرا ..
ونبضات قلبه بلغت ذروتها .

١٠ - حلبة المنافسة ..

كانت (انز برونك) فى ذلك اليوم - السبت - تبدو وكأنها
بأكملها فى مسيرة عسكرية ..

كانت الاستعراضات العسكرية ، بمصاحبة موسيقى
الألات النحاسية ، تتوالى وراء بعضها ، وقد تجمعها
الناس على جانبي الطريق لمشاهدتها ، وحتى بعد مرورها
استمعوا فى أماكنهم ، فى انتظار الاستعراض التالى ،
وسار (ريتشارد) مسرعا فى الطرق الفرعية الضيقة ،
التي هجرها الناس ، حتى وصل إلى حانوت (رودى
واشتر) ، وكان المكان صامتا ساكنا ، وهو يفتح الباب
الخلفى ، ويدخل فى سكون إلى الغرفة الصغيرة ، التي
وصفتها له (أنى) ، والتي تستعمل كمخزن ، وأخذ
يتحسس طريقه داخل الغرفة ، وسط صفوف الصناديق ،
وجلس على صندوق كبير ، موضوع تحت نافذة عالية
صغيرة فى الحجرة ، لا يمكن لأحد أن ينظر من خلالها ،
إلا إذا وقف على سلم ، وجلس ينتظر ، وسمع أصواتا
تصل إليه من الحانوت بالخارج ، وضحكة (أنى) ..

كانت الأصوات بعيدة ، ولا يمكن تفسيرها ، مما أكد أنه هناك حجرة أخرى تفصل بين حجرة المخزن والحانوت الأمامى نفسه ، حيث كانت (أنى) تقوم بخدمة أحد الزبائن ، ولم يره أحد ولم يسمع له صوتا عندما دخل ، وإذا حدث أن نظر أحد داخل المخزن ، فالصناديق المرسوسة تخفيه عن العيون ..

وبدأ يشعر بالارتياح قليلا ، ولكن البابين فى جانبى الغرفة كانا يقلقانه ، فقام وتلخص القفل على الباب الذى دخل منه ، وأغلقه من الداخل ، فذلك أفضل من احتمال دخول أحد عليه من هذه الناحية ، ومن السهولة فتحه والهرب إلى الشارع الضيق ، إذا حدثت أية مشاكل ، وكان الباب الآخر هو الذى يؤدى إلى الحجرة التى تفصل بين هذه وبين الحانوت ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا حياله ، حتى تظهر (أنى) ..

لقد سكنت الأصوات الآن ، ولا بد أن الزبون قد خرج ، ثم سمع صوت جرس ، وعرف أنه ذلك الجرس المرتب على الباب الخارجى ، وقد تحرك مع الباب وهو يغلِق وراء الزبون ، ولا بد أن (أنى) قد أحضرت هذا الجرس معها من (إنجلترا) ، هدية منها لأخيها ، وابتهتم لسماعه هذا الرنين المألوف ، فى حوانيت شوارع (أكسفورد) ، هنا

فى (انزبروك) ، الذى ىرن عندما تفتح أو تغلق الباب ،
وسمع وقع أقدام (أنى) تقرب ، وفتح الباب فى الحجرة
المتوسطة ، ووقفت (أنى) تنظر فى الضوء الخافت ،
وخرج من وراء الصنائيق ، فقالت :
- الحمد لله .

- هل شعرت بنخولى ؟

- لا .. لقد كنت أحضر إلى هنا كل فترة ، بعد خروج
الزبانن ؛ لأرى ما إذا كنت قد حضرت .. هل أغلقت الباب
الآخر ؟ حسن جدًا .. سأغلق هذا الباب أيضا .. أن الغرفة
التى فى الوسط هى غرفة قياس الملابس .. إذا دخل فيها
أحد التزم الهدوء ، وإذا سمعت صوتًا عاليًا ، يريد فتح
الباب ، وبهذه ، ويطلب منى المفتاح بغضب .. عندئذ
ارحل على الفور .

وسمع صليل الجرس ، وقالت (أنى) فى همس :
- إن هذا الجرس مفيد جدًا .

واستدارت تريد الخروج ، ولكن (ريتشارد) أمسك
ذراعها ، عندما سمع صوتًا مرخا ينادى فى صوت عال ،
من مقدمة الحانوت :

- ألا يوجد أحد هنا ؟

كان صوت (ثورنلى) ، ثم سمع صوت (فان
كورتلاند) يقول بالإنجليزية :



وسمع وقع أقدام (آلى) تقترب، وفتح الباب في الحجرة المتوسطة،
ووقفت (آلى) تنظر في الضوء الخافت..

- هذا هو الحانوت .. فلننتظر قليلا .

أشار (ريتشارد) إلى (أنى) ، فخرجت لمقابلتهما ،
وسمعهما يطلبان منها أحذية للتسليق . ثم هدأت
الأصوات ، وسمع أقدامهما تتجه إلى حجرة المخزن ،
وبعد دخولهما أغلقت (أنى) الباب عليهم ، وتركتهما
معا . وقال (فان كورتلاند) :

- يا إلهى كم أنا سعيد برؤيتك .

وتسأله (ريتشارد) :

- (فرانسيس) ؟ .. ماذا أصابها ؟

قال (ثورنلى) :

- لقد أمسكوا بها لسوء الحظ .. كان ذلك الوغد الأشقر
ذو السوار فى معصمه ، هو الذى رآها ، وعرفها .. لقد
أخذوها إلى (درايكرتشن) .. هذا كل ما استطعت
معرفة .. وكذلك رقم السيارة المرسيدس السوداء .

وفتح الباب ، ودخلت (أنى) ، وعلى فراعها بعض
ملابس التسليق ، وأعطتها لـ (ثورنلى) و (فان
كورتلاند) ، وسألها (ريتشارد) :

- أين (درايكرتشن) يا (أنى) ؟ هل هى قرية أو اسم
لمنزل شهير ؟ هل سمعت بها من قبل ؟
قالت (أنى) لـ (فان كورتلاند) :

- إذا رن جرس الباب ، ادخل إلى حجرة القياس ،
لقياس هذه الملابس أمام المرأة ، وأغلق هذا الباب جيدا
وراءك ، وضع المفتاح على ذلك الرف العالى هناك .
ثم قالت لـ (ريتشارد) :

- الآن نحن فى أمان ، أما بالنسبة لذلك المكان
(درايكرتشن) ، فلا يوجد غير واحد فقط بهذا الاسم ،
قريب من هنا ، على بعد ساعتين .. إلى الجنوب من
(انزبروك) ، إذا تبعت طريق (برينر) ، ستصل إلى
جزيرة (برج) و (درايكرتشن) على يمينها .. سأحدد لك
المكان على الخريطة ..

كان (ريتشارد) قد فتح دليله الجغرافى وهى تتكلم ،
وأشارت (انى) بأصبعها ، قائلة :

- هذا هو الطريق الذى يأخذك إلى (درايكرتشن) ..
هذه هى .. مجموعة المربعات السوداء .
- إنها قرية .. لماذا لم يكتب اسمها ؟

- إنها ليست قرية .. إنها بعض البيوت القليلة ودير ،
وثلاث كنائس فقط ، حيث كان يعيش بعض الرهبان .
- ومن الذى يعيش هناك الآن ؟

بدا على (انى) الحرج .. لم تكن متأكدة .. لقد سمعت
إخوتها يتكلمون ، ولكنهم لم يفسروا لها .. لقد أرسل أحد

أصدقائهم إلى ذلك المكان ..

وسأل (فان كورتلاند) :

- هل هي معسكر للاعتقال ؟

نفت (أنى) ذلك بشدة :

- غير معقول .. إنهم يرسلون الصبية إلى ذلك

المكان ، ليتعلموا فيه .. الصبية والشباب المختار ..

بالطبع هناك شائعات كثيرة ، ولكن لم يؤكد لها أحد بالبحث

فيها ، فإن ذلك شيء خطر .

وسألها (فان كورتلاند) مرة أخرى :

- هل لذلك المكان أية علاقة بالجستابو ؟

ظهر الخوف على وجه (أنى) .. لقد كانت هناك

شائعات ، وقد حدث أن قال ذلك (جوهان) ، وهو يمزح

أمام أحد أشقائها ، وتشاجر معه ..

شكرها (ريتشارد) ، فقد كان ذلك هو كل ما تعرفه ، أو

تريد معرفته ، وفي طريقها إلى الخروج أوقفها

(ثورنلى) ، وهو يطلعها على ورقة ، صغيرة في يده .

وقال :

- إذا رأيت سيارة سوداء كبيرة ، عليها هذه الأرقام ،

ماذا يكون رأيك ؟

قالت (أنى) :

- سيارة خاصة ؟

- أهو البوليس السرى ؟

هزت رأسها بالإيجاب ، ثم خرجت إلى الحانوت ، وقال
(فان كورتلاند) :

- علينا أن نتحرك بسرعة ، فليس أمامنا ربما غير
عشر دقائق ، قبل أن يستطيعوا الوصول إلى مكاننا ، فمن
المؤكد أنهم استمعوا إلى مكالمتنا اليوم ، وسيبحثون عنا
فى حوانيت الرياضة .. هيا بنا .

قال (ريتشارد) :

- شكرا لكما .. لولاكما لما كان هناك أمل .

وقال (فان كورتلاند) ، وهو يوجه كلامه إلى
(ثورنلى) :

- تصور أنه كان يظن أنه سيتخلص منا فى هذه
المرحلة .. الأمر يحتاج الآن لجهودنا نحن الثلاثة لنجد
(فرانسيس) .

قال (ثورنلى) فى هدوء :

- سنجدها .

لم يضع (ريتشارد) وقتا ، ونشر الخريطة أمامهما ،
وقال :
- سنتقابل هنا .

وأشار إلى مكان التقاء الطريق بجزيرة (برج) .
وأضاف :

- أحضرا سيارة ، وضعا فيها جميع متعلقاتكما ،
وكذلك هذه اللفة .. إن بها ملابسنا التي سافرنا فيها في
(إيطاليا) .

قال (فان كورتلاند) :

- لقد اتفقت فعلاً مع صديقي من الإذاعة ، على أن
يبادل سيارته بميائرتي ، إنه ذاهب إلى (فيينا) بعد ظهر
اليوم ، وهو موثوق به ، ولن يتكلم ، كما أخبرت الفندق
بأنني أعزم الرحيل ، والعودة إلى (بيرتيسو) ؛ لمقابلة
أصدقاء لي هناك .

قال (ريتشارد) ، وهو يشعر بالامتنان :

- حسن .. نتقابل بعد الساعة الرابعة ، حتى يمكنني
الوصول إلى ذلك المكان .. وأحضر معك بعض الشيكولاتة
والسجائر .

قال (فان كورتلاند) :

- إلى الرابعة والنصف إذن .

وتصافحوا بحرارة ، قبل أن يعودا إلى الحانوت .

وانتظر (ريتشارد) حضور (آني) ، وقالت وهي

تدخل إلى المخزن في همس :

- إلى اللقاء يا سيدى البروفيسير .. أرجوك أن تتصل
بى ، وتخبرنى عندما تجد السيدة .. أرجوك .

قال (ريتشارد) :

- نعم يا (أنى) .. سأفعل .

ماذا يمكنه أن يقول لي شكرها ..

وشعرت (أنى) بذلك ، وقالت :

- إننى أرد بعض ما فعلتموه معى فى (أكسفورد) ..

والآن أسرع يا سيدى .

قال (ريتشارد) ، وهو يصافحها بحرارة :

- إلى اللقاء يا (أنى) .

- إلى اللقاء .

وخرج بسرعة ، وسار حتى وصل إلى الشارع الكبير
المزدحم بالناس ، ورأى (فان كورتلاند) و (ثورنلى)
وقد غادرا الحانوت ، وهما يحملان بعض اللغائف من
المشتريات ، ووقف حتى اختفيا عن نظره ، وشعر فجأة
بالجوع الشديد ، ولكن النقود التى معه لا تكفى إلا للوصول
إلى جزيرة (برج) بالترام ، وشعر بالأمان بين زحام
الناس حوله فى الشوارع ، ذلك أن (فون آشنهاوزن)
هو الوحيد الذى يستطيع أن يتعرفه فى (انزبروك) .

و (فون أشنهاوزن) الآن معه (فرانسييس) ، يلعب لعبة
هامة بالنسبة له ، وذلك هو السبب في أنه أخذها إلى
(درايكرتشن) ، ولم يقبض عليها رسميًا ، حتى
يستخلص منها المعلومات التي تمكنه من التغلب على
فشلته ، في القبض على (سميث) .. إن (فرانسييس)
تعرف كل ما يريد .. وسيحاول الحصول عليه ..
وبأية وسيلة .

★ ★ ★

١١ - الاقتراب من (درايكر تشن) ..

انطلق (فان كورتلاند) و (ثورنلى) مسرعين ، وسط زحام الجماهير ، وتوقفا مرتين .. مرة لشراء بعض البسكوت والشيكولاتة ، والثانية لشراء البرتقال ، وذهبا إلى الفندق لأخذ أمتعهما ، وقاما بإجراء مكالمتين هاتفيتين إحداهما لصديق (فان كورتلاند) من الإذاعة ، لتحديد المكان والموعد الذى سيتقابلان فيه لتبادل سيارتيهما ، والثانية لوكالة (كوك) للسياحة ، لشحن الأمتعة الثقيلة إلى (جنيف) ب (سويسرا) ، ثم قال (ثورنلى) فجأة ، وقد تغير وجهه :

- لقد تسلمت خطابا هذا الصباح ..

نظر إليه (فان كورتلاند) ، وقد لاحظ نبذة صوته ، فأضاف :

- سأخبرك بما فيه فيما بعد .. إنه من صديقى (تونى) ، يقول : إنه فى طريقه إلى (انجلترا) .

- والفتاة ؟

هز (ثورنلى) رأسه ، وقال :

- لا .. وحده .

- هل الأمر سيئ ؟

- نعم .

ولم يزيدا فى هذا الموضوع ، واتجها الى (الجراج) ،
الذى ترك فيه (هنرى) السيارة ، وجاء أحد الصبية بعد
قليل ، يحمل حقيبتين ، وضعهما فى السيارة ، وانطلقا ،
وقال (فان كورتلاند) وهو يبتسم :

- هذه الطريقة أثبتت نجاحها ، فقد تأكدت أنه لا يتبعنا
أحد ، فبعد أن دفعت الحساب قلت : إننى سأغادر الفندق
الى (بيرتيسو) ، فى حوالى الخامسة ، ونظاهرت
بالصعود الى الحجرة مرة ثانية ، ولكننى فى الحقيقة
لحقت بك من السلم الآخر ، وانضمامنا إلى الجموع فى
الشارع ، التى تنتظر مشاهدة الاستعراضات .. إن المدينة
بأكملها فى الشوارع ، بسبب هذه المسيرات ، التى
لا أعرف لها سببا .

قال (ثورنلى) :

- إنها تصيبنى بالاكئاب ، ولا يستطيع أحد أن يفعل
شيئا حيال هذا الحماس العسكرى السائد ، لا بالنقاش

ولا بالأعمال الصالحة .

ثم سكت ، وأخذ يراقب (فان كورتلاند) وهو يقود
السيارة ..

كان توقيته سليما تماما ، فإذا كان هناك من يتبع
السيارة ، فالمرور وزحامه القادم من الشوارع الفرعية
سيجعله يفقدها ..

ووصلا إلى مكان مقابلتهم مع صديق (فان
كورتلاند) ، وتم كل شيء بسرعة مذهلة في لحظات ،
ووجد (ثورنلى) نفسه يجلس في سيارة زرقاء فاتمة
اللون ، بعد أن تبادلوا الحقائق ، وانطلق الرجل الآخر
الأمريكي النحيل بسيارة (فان كورتلاند) الزاهية اللون ،
ووقف (فان كورتلاند) يراقبه ، حتى اختفى عن الأنظار ،
قبل أن ينطلق هو أيضا في الطريق المضاد ، وقال (فان
كورتلاند) :

- إنه شخص لا بأس به .. إننا مجرد اثنين من
الأمريكيين ، تبادلنا سيارتيهما ، وهو لا يعرف شيئا عن
أى شيء ، كما أنه قد ربح في عملية التبادل هذه .

ودارت السيارة حول (انز بروك) إلى الغرب ، متجنبة
بذلك الطريق الرئيسية ، التى ما تزال مزدحمة ، وقابلا فى

طريقهما عدة تشكيلات من الشباب ، المرتدى للزى
العسكرى ، يمشون وكأنهم جميعاً على موعد فى
مكان ما ، وفى الطريق المؤدى الى جزيرة (برج) ،
والذى كان يقود أيضاً الى ممر (برينر) ، كما قال
(كورتلاند) ، ومرت بهما ثلاث سيارات كبيرة سوداء ،
تجرى بسرعة وراء بعضها ، وكانت جميعها تمتلئ عن
آخرها بالجنود الجالسين منتصبى القامة ، ووجوههم
البيضاء لا ملامح لها ، تحت غطاء الرأس العسكرى ،
وصاح (ثورنلى) فى انفعال شديد :

- إحدى هذه السيارات .. نعم .. إنها واحدة منها .

قال (فان كورتلاند) ، وهو يبتسم لتلعثم زميله :

- ما الأمر ؟

- واحدة من هذه السيارات ، هى نفسها السيارة التى
رأيتها بعد ظهر اليوم ، و (فرانسيس) جالسة فيها ، ألا
تظلم يا (هنرى) .. إنهم إذا كانوا قد غادروا
(درايكوتشن) ، سيكون الأمر أسهل بالنسبة لنا .
فكر (فان كورتلاند) قليلاً فى ذلك ..

- قد يكون (بوب) على حق فيما يقول ..

- الحظ يلعب دوراً هاماً فى كل شيء ، ومهما كانت
الطريقة التى تعد بها خططك ، فلا بد أن تترك مجالاً قليلاً
للحظ ..

وقال (كورتلاند) ، وهو يبطن من سرعة السيارة :
- لقد اقتربنا .

لقد قال (ريتشارد) : إنه سينتظر عند المحطة ، فأخذا
يبحثان عنه ، ويراقبان الطرق التى تؤدى إلى الغابات ،
وعندما دارا مع الطريق ، وابتعدا قليلا عن المحطة ، ثم
توقفت السيارة تماما ، ونزل (ثورنلى) منها ، خرج
(ريتشارد) من وراء بعض الأشجار ، وقال (فان
كورتلاند) بصوت حاد من القلق :
- لقد بدأت أعتقد أننا لن نجدك .

ثم انطلق مرة أخرى ، و (ريتشارد) يقول :
- آسف .. لقد نسيت أن أسألك عن لون السيارة ، ولم
أرد المخاطرة .. آسف .. كيف سارت الأمور ؟
- طبقا للخطة .

- حسن .. أمامنا الآن حوالى خمس دقائق فى هذا
الطريق ، ثم عشر دقائق فى الطريق الذى ندخل فيه إلى
اليمين ، فقد قمت بدراسة الخريطة وأنا أنتظر ، ثم بعد
ذلك هناك طريق ضيق ، أو ممر يقودنا إلى
(درايكرتشن) من الخلف .. ذلك أسلم من المخاطرة
بالسير فى الطريق المباشر إليها ، قبل حلول الظلام ، كما

أننا لا نستطيع انتظار الظلام .. لا يوجد أمامنا وقت .
نظر (ثورنلى) إلى وجه (ريتشارد) الأبيض الصارم ،
وكان يبدو منهكاً ، فقال :
- هل أكلت ؟

هز (ريتشارد) رأسه ، ثم أخذ قطعة الشيكولاتة ، التى
أعطاه إياها (ثورنلى) وأكلها ، وعيناه على ساعته ..
لم يكن يعرف أو يهتم بما يأكله ، وكان يبدو على وشك
الانهيار ، وبدأ (ثورنلى) يدرك صعوبة الوقت الذى مر
عليه ، وهو ينتظرهما .. كان لابد ألا يتركاه وحده .
وقال (ريتشارد) :

- هذا هو العمر الضيق .

ودخلت السيارة فيه ، تاركة طريق (برينر) ، كان
(ريتشارد) ما زال ينظر فى ساعته ، ورفع يده ليست
(ثورنلى) ، وقد كان على وشك الكلام ، ثم أدرك
(ثورنلى) أنه كان يقوم بتوقيت المسافة التى عليهم السير
فيها ، ثم قال :
- الآن .

وترك (فان كورتلاند) العمر ، ودخل فجأة فى الغابة ،
وقاد السيارة بحرص ، حتى وقف بها فوق الحشائش ،
وهى مخفية عن العمر وراء بعض الشجيرات ، وقد أدار

مقدمتها نحو طريق (برينر) ، ثم سأل (فان كورتلاند) :
- هل لدى أحد منكم مسدس ؟

هز (ثورنلى) و (ريتشارد) رأسيهما نفيا ، ثم أخرج
(ثورنلى) مطواة كبيرة وبطارية ، وابتسم (فان
كورتلاند) ، وقال :

- أما أنا فمعى مسدس .. سينفع إذا واجهتنا مشكلة .
وربت على جيبه ، ثم غادورا السيارة ، وأغلقها (فان
كورتلاند) ، ونظر الرجال الثلاثة بعضهم إلى البعض ،
لحظات ، ثم قاد (ريتشارد) الطريق ، أعلى التل الذى
تغطيه الشجيرات ، وتسلقوا التل الصغير ، حتى وصلوا
إلى القمة ، تخفيهم أشجار الصنوبر ، ومن أعلى المنحدر
استطاعوا رؤية قباب الكنائس الثلاث العالية فى
(درايكرتشن) ، أخرج (ثورنلى) مطواته ، وأشار لهما
أن ينتظرا ، واختفى فى ناحية الطريق الذى صعدا منه ،
وهو يعلم الأشجار التى يقابلها ، بقطع أحد أغصانها ،
وكانت فكرة جيدة ، فقد كان مكان القطع أبيض وخشنا .
وعندما عاد إليهما (ثورنلى) كان مسرورا : فقد استطاع
أن يعرف طريق العودة إليهما بسرعة مدهشة ، وكذلك
فعل وهو يتبع (ريتشارد) خلال الأشجار ، فأخذ يعلم
بسكينة الأشجار ، حتى لا يضلوا طريق العودة إلى

السيارة ، وساروا ببطء وخفة ، دون أدنى صوت ، حتى وصلوا إلى حافة الغابة ، وكان ما يفصلهم الآن عن (درايكرتشن) هو الحافة ذات الانحدار الشديد ، وحديقة ممتدة أمامهم ، وراقبوا يراقبون الموقع في انتظار غروب الشمس ..

كان القساوسة هم الذين بنوا تلك القلعة الصغيرة ، والكنيسة الملحقة بها ، وكذلك كنيستين صغيرتين ، على بعد قليل من جانبي المبنى الرئيسى ، وحول كل ذلك بعض الأكواخ ، مما أعطى المنطقة شكل الهلال ، الذى يحفه تجويف مستدير فى التل على بعد ، ومن ناحية الجنوب كانوا يرون الطريق الرئيسى ، الذى يصل إلى وسط الهلال ، والذى أضيف للموقع فيما بعد الاستيلاء عليه من القساوسة ، وأمامهم مباشرة كانت هناك حديقة للمطبخ ، خلف الكنيسة الصغيرة اليمنى ، مزروعة بأنواع مختلفة من الخضراوات ، تحيطها من ناحية التل شجيرات قصيرة من العنب الأحمر ، ومن الناحية الأخرى سور من أشجار الفاكهة ، يفصل بينها وبين حديقة الكنيسة الكبيرة المزروعة بالزهور الجميلة ، وحتى يحجب منظر الخضراوات عن الناظرين .

وهمس (ريتشارد) :

- علموا هذا المكان .

ثم تقدموا بحرس تحت ستار الأشجار ، نحو ظهر القلعة ، ولم يكن هناك أثر لحياة أو حركة أو صوت ، فيما عدا دخان يتصاعد من مدخنة هناك ، ثم قال (ثورنلى) فى همس :

- انتظر هنا ، حتى أسكتشف المكان .

وأخرج مفكرته من جيبه ، ورسمًا رسمًا بسيطًا للمباني والحدائق أمامه ، وقال (ريتشارد) ، وهو يذكر كيف قام (ثورنلى) بتسليق النافذة فى (بيرنيسو) :

- حسن .. سنراقب المكان من هنا .

أخذ (ثورنلى) يشرح الطريق الذى سيتبعه على الرسم .. سينزل عبر شجيرات العنب إلى حديقة الخضراوات ، ثم يسير فى العمر الذى يقود إلى ناحية أشجار الفاكهة المقابلة ، حتى يصل إلى الجانب الأيمن للقلعة من الخلف ، حيث يتصاعد الدخان ، وعندئذ يمكنه أن يعرف إذا كان هناك من يشغل ذلك الجزء من المبنى ، وإذا كان هناك مدخل خلفى للقلعة ..

وانطلق (ثورنلى) فى طريقه ، و (فان كورتلاند) يتحسّر على عدم وجود أسلحة كافية معهم ، لمواجهة تلك

القلعة المستحقة ، ولكن قد يكون المكان خاليا ، ولا داعى
للحرص الشديد وإضاعة الوقت ..

قد لا يوجد غير طبّاخ فى المطبخ ، الذى يتصاعد منه
الدخان ، و (فرانسييس) محبوسة فى إحدى الغرف ،
وعليها حارس واحد ، فى حين يستمتع الآخرون بوقتهم
فى (انزبروك) ، أو يبحثون عن (ريتشارد) هناك ، ثم
خطر له خاطر جعله يقطب جبينه فى وجوم ، وهو أن
(فرانسييس) ليست هنا على الإطلاق ، وعندئذ يضع كل
أمل فى إنقاذها ، وكان ذلك الخاطر يسيطر أيضا على
تفكير (ريتشارد) ، الذى أخذ يعد الأشجار حوله ، محاولا
إبعاده عن تفكيره بأى شكل ..
وما من فائدة .



١٢ - الجنّازة ..

شعر (ثورنلى) بالحماس والإثارة يتملكانه ، وهو يتقدم نحو الكنيسة الصغيرة ، والأكواخ الصغيرة إلى جانبها ، وتحرك بسرعة وثقة ، وهو يعرف أنه فى ظلال هذه الشجيرات لا يستطيع أحد رؤيته إلا من الخلف ، وفى هذه الحالة فإنه سيراه حتى لو كان يتقدم بحرص وببطء ، ولم يكن هناك وقت ، ولا يمكن انتظار حلول الظلام ؛ لأن القلعة قد تعود إليها الحياة فجأة ، وتوقف وقد أرهف السمع ، ولكن السكون كان يسود المكان ، كما أن أبواب ونوافذ الأكواخ كانت مغلقة ، ومع حرارة الجو لا بد أنها خالية ، ودخل إلى حديقة الخضراوات ، وفى خفة القبط عبر إلى ممر الشجيرات ، الذى يقود إلى الناحية الأخرى ، وكان الممر يدور حتى يصل إلى القلعة نفسها ، إلى باب جانبي صغير بها ، يبدو أنه باب مطبخ ، وتوقف لحظات يلتقط أنفاسه ، فلم يكن يتوقع وجود ذلك الباب ، وغاص بجسده داخل شجيرات الممر ، وعندما وصل بالقرب من حائط القلعة ، سمع فجأة أصوات رجلين يتحدثان ..

كان متأكدًا من أنهما اثنان فقط ، وانحنى إلى أسفل في
الطين ، وهو يزيح بحرص شديد الأغصان أمامه ، لينظر
من بينها ، وكان الرجلان يمشيان أمام القلعة ، ويتكلمان
وهما يدوران حولها .. في أي لحظة الآن سيظهران
أمامه ، عند ركن المبنى ، وسمع ضحكاتهما بوضوح ،
فقد كان وقع أقدامهما وأحذيتهما الثقيلة يقترب من ركن
القلعة ، كان أحدهما ما زال يضحك ، كما لو كان قد سمع
نهاية قصة مضحكة ، وتوقفًا قليلًا عند نهاية الممر ، الذي
يمشيان عليه في ركن المبنى ، ثم استدارا عاندين نحو
واجهة القلعة ، واختفيا عن عينيه ، وتعجب (ثورنلي)
من أنهما لم يسمعا دقات قلبه العالية ..

على كل حال لقد تبين أنه هناك اثنان منهم أمام القلعة ،
كما أنهما لم يكونا يقومان بالحراسة ، فقد كانت هينتهما
وكلامهما لا تدل على ذلك ، ولكنهما مسلحان ، فقد رأى
المسدسات معلقة في أحزمتهما ، ويبدو أنهما لا يتوقعان
أي هجوم على القلعة ، فهي أحد معاقلهم القوية ، وبمجرد
أن يأخذوا سجناءهم من بيوتهم ، فالخوف الذي يثيره
وجودهم في ذلك المكان يشل حركة كل من له صلة بهم ،
ولم يكن أحد يجروا على مجرد السؤال عن أخذوه سجينًا ،
فلماذا إذن القلق على شخص أجنبي ، اختفى بهذه
الطريقة ؟؟



وسار (ريشارد) بسرعة نحو التليفون، ورفع السماعة.
و (فرانيس) و (فان كورتلاند) ينظران إليه ..

ابتسم (ثورنلى) فى سخرية ، وهو يعود مرة أخرى من حيث أتى ، ولكن عندما وصل إلى نهاية الشجيرات ، تساءل فى نفسه : هل يعود ، أو يحاول أن يرى من يوجد فى ذلك المطبخ ، حيث يتصاعد الدخان بشدة ؟..

هل يغامر ، ويحاول الوصول إلى الباب .. إن الرجلين لابد أنهما وصلا فى سيرهما إلى نهاية الممر ، من الناحية الأخرى ، وربما يعودان مرة أخرى .. لابد أن يتحرك الآن ، ثم فتح الباب فجأة ، ودخل (ثورنلى) فى الحال وسط الشجيرات ، وسمع صوتاً حاداً يقول فى غضب شديد ، لرجل خرج من الباب إلى الممر :

- لا تضع الوقت .. لقد سمنت وجودك هنا .. الجميع يقومون بعملهم ، وأنت لا تعمل شيئاً غير الأكل .. هيا اذهب بسرعة .

توقف الشاب ، الذى خرج وهو يملأ فمه بقطعة كبيرة من الكعك ، وقال :

- لا تتكلم معى .. إذا كنت قد تأخرت فى إعداد الطعام ، فهى مسئوليته ..

ثم سار وهو يقول لنفسه : إنه لا يكف عن طلب هذا وذاك منى .. (هيرمان) افعل هذا .. (هيرمان) اذهب وأحضر ذلك .. كما لو كان ليس لدى عمل آخر أقوم به ..

كما لو كنت مجرد ..

ولكنه لم يكمل كلامه ، فقد انكفأ فجأة على وجهه ،
ووضع (ثورنلى) البطارية الكبيرة مرة أخرى فى جيبه ،
وجز الرجل من قدميه إلى داخل الشجيرات ليخفيه عن
العيون ، وهو يقول فى نفسه :

- خسارة لو كان قد كسر البطارية .

ثم أخذ قطعة كبيرة من الحجر ، وضرب رأس الرجل
بها مرتين ، للتأكد من أنه لن ينطق ، ثم أخرج منديله ،
وكنم فيه ، واستعمل حزام الرجل ورباط عنقه ؛ ليقيّد
يديه ورجليه ..

المكان الوحيد الذى يمكن لأحد أن يرى منه هجومه
على الرجل ، هو من الغابة ، وتمنى لو أن (ريتشارد)
و (فان كورتلاند) رأيا ذلك .

وفعلاً .. كانا قد شاهدا كل شيء ، وهما قابعان فى
مكانهما ، فى انتظار خطوته التالية ، وأخذ (ثورنلى)
ينتظر عودة الجنديين .

لابد أنهما سيصلان إلى هذا الركن الآن .

ما الذى يؤخرهما ..

أو هل تصور أن الدقائق قد مرت بسرعة لقلقه
الشديد ؟

ثم سمع وقع خطواتهما ، وهى تتوقف وتندور مرة
أخرى مبتعدة ، ونظر إلى الرجل الملقى إلى جواره .. أنه
لن يفارق إلا بعد وقت طويل .. طويل جدًا ..
وخرج إلى العمر ، ولوح بذراعه .. لقد رأوه ووقف
يراقب وهما ينزلان من مكانهما للحاق به ..

إذا أسرعاً سيتمكنان من ذلك ، قبل عودة الجنديين ..
كانا يتحركان بسرعة وفى سكون ، ولقد وصلا إلى
نهاية الشجر ، ومثله وجدا الباب فى نهاية العمر ، وابتعدا
عنه أيضاً مثلما فعل ، وتقدما من طريق الشجيرات ،
وعندما وصلا إليه وجداه يفحص مسدس الرجل ، ثم
وضعه فى جيبه ، وهمس (ثورنلى) :

- هناك جنديان فى مقدمة القلعة ، وطباخ متعب فى
المطبخ ، وهذا .

وأشار إليه بقدمه ..

وقال (ريتشارد) هامساً :

- نعتنى بالطباخ الآن .

هز (ثورنلى) رأسه ، وقال :

- سيعود الجنديان فى أية لحظة الآن .

وأشار لهما ليتبعاه ، وقادهما إلى حيث كان يراقب
الجنديين من قبل ، واختبئوا دون حراك ، فقد سمعوا

الأصوات تقترب ، وهم ينظرون خلسة من بين الأغصان ،
ونظر إلى ساعته ليقوم بتوقيت حركتهما ، وفجأة انتبهوا
ينظر بعضهم إلى البعض ؛ فقد سمعوا صوتا عاليا يتكلم ،
ثم صوت وقع الأحذية الألمانية الثقيلة ، وهي تجرى ..
كان الصوت يصدر تعليمات ، وكان في إمكانهم
سماعه ، ولكن لم يتبينوا الكلمات ، ونظر (فان كورتلاند)
متسائلا إلى (ريتشارد) ، الذي هز رأسه .. لالم يكن هذا
الصوت صوت (فون أشنهاوزن) ..
إن هناك أيضا شخص آخر ..

وانتظروا مشدودى الأعصاب ، وتلا صوت الأقدام
الجارية على الأرض الحجرية ضوضاء دراجات بخارية
وهي تعمل ، ثم تنطلق بسرعة ، وقال (فان كورتلاند) :
- اثنان على ما أعتقد .

ثم خرجوا من بين الشجيرات ، ورأوا الطريق الرئيسي
إلى مدخل القلعة ، وكانت الدراجتان البخاريتان قد مرتا
فعلا من البوابة ، وهما تنهبان الأرض ، منطلقتين بعيدا
عن القلعة ، وقال (فان كورتلاند) :

- أنا لا أعجبني ما يحدث .. إنه مجرد شعور ، ولكن
أعتقد أنه علينا أن نتصرف بسرعة .
ساعدهم قرب حلول الظلام ، فتسللوا الواحد

تلو الآخر ، نحو حائط القلعة ، ومشوا في ظلاله نحو باب
المطبخ ، وسمعوا صوت حركة داخله وأخرج (ثورنلى)
المسدس من جيبه ، وأمسك به من ماسورته ، وفتح باب
المطبخ ، وأخرج منه ضوء غمر العمر أمامه ، ورأوا
طرف مريئة الطباخ وهو يقول :

- لقد سمعتك .. تعال الآن .. أين وجدت البقدونس ؟ ..
وسط شجيرات العنب ؟

وأخرج من الباب ، وهو يحرق أمامه في الظلام في
الحديقة ، ثم نادى :

- (هيرمان) .. يا إلهى .. هل على أن أفعل كل شيء
بنفسي ؟

وارتفع صوته حاداً وهو ينادى :

- (هيرمان) .

ثم سقط إلى الأمام ، وقد تزلت على رأسه مؤخرة
المسدس بشدة ..

كان رجلاً ثقيلاً ، وتعاون الثلاثة في حمله إلى المطبخ ،
وأغلق (ثورنلى) الباب بالمفتاح ، ثم وقف يحرس
المدخل الآخر الوحيد له ، وهو باب يؤدي إلى دهليز ، في
حين ساعد (فان كورتلاند) (ريتشارد) على تكميم الرجل
وتقييد يديه وقدميه ، ثم ألغوه في المخزن الملحق

بالمطبخ ، وأغلقوا عليه بابيه المسميك ، ووضع
(ريتشارد) المفتاح فى جيبه ، وأشار لهما ، فتبعاه فى
سكون إلى الدهليز ، وهمس (ثورنلى) :
- هناك غرفة تبدو مهمة .

نظر إليه (ريتشارد) باهتمام .. هل سمع شيئا عندما
كان ينتظرهما ؟ .. صرخه ؟ وأسرع الخطا ..

كان الدهليز يودى إلى صالة المدخل الرئيسى .. صالة
واسعة مربعة ، بها سلم عريض يدور إلى أعلى الحوائط
المغطاة بالخشب ، وتوقف (ريتشارد) ينظر إلى
(ثورنلى) مرة أخرى ، فأشار إلى أعلى فى الدور الأول ،
وصعدوا السلم ببطء وحرص ، وهم يتوقعون أن يفتح
الباب فى أية لحظة ، ويخرج منه سيل من القذائف ،
يجعلهم يلتصقون بالحائط ، ولكن الباب لم يفتح فقد كان
سميكا ، ولم يسمعوا الأصوات من داخل الحجرة ، إلا
عندما اقتربوا منه ..

سمعوا صوت رجل ، ثم صوت رجل آخر ، ثم صوت
الرجل الأول مرة أخرى ، ونظر (ريتشارد) إليهما ، وهز
رأسه .. إن هذا الصوت كان صوت (فون أشنهاوزن) ،
وكان يتكلم بالألمانية بصوت غاضب ، مثلما كان صوت
الرجل الآخر ..

ثم يكونا يتناقشان مع بعضهما ، بل كان كلاهما يكلمان
شخصا ثالثا بعنف وقسوة ، وارتفع صوت (فون
أشنهاوزن) ، وأغلق (ريتشارد) عينيه ..
كان يرى أمامه النديتين العميقتين في وجهه ، ووصلت
إليه كلماته منقطعة :

- ستأسفين على غياوتك .. استغلال إنسانيتي .. خلال
ساعتين سيعود جنودى البرابرة كما تسمينهم ، وسأقوم
بتسليمك إليهم .. وإذا لم يجد ذلك .. الجستابو .. قاتلة
وجاسوسة خطيرة .

وأصبح الصوت أوضح وهو يتكلم ببرود وقسوة :
- ستكون أيامك القادمة مرعبة ، كما سنقبض على
(مايلز) ، ولن تتفعل غياوتك هذه .
ثم تكلم بالإنجليزية ، وهذه المرة بسرعة محاولا
الإقناع :

- تعرفين كيف كانت صلتى بك ، وهذا هو السبب فى
أننى أحضرتك إلى هنا .. المفروض أن تكونى الآن فى مقر
الجستابو ، ولكن تأكدى أنه على الرغم من كل شيء
سأعرف ما أريد .. إذا تعاونت معى ستتذكرين هذه الأيام
فيما بعد مثل مجرد حلم مزعج ، وإلا فإن ما لقيتيه هنا
لا يقارن بما سيحدث لك .. أنا لا أبالغ فيما أقول .. تكلمى

ايتها الغبية ، قبل أن ينفذ صبرى .. (كورت) .. جرب معها طريقتك مرة أخرى ، ربما تفتنع .

لقد سمعوا ما بكفى . وأشار (ريتشارد) برأسه نحو الباب ، ووضع (فان كورتلاند) يده على المقبض بتحتمسه ..

لم يكن مغلقا ، ودفعه بشدة . وفى لحظة كان هو و (ريتشارد) بالداخل ، ووراءهما (ثورنلى) .. وكانت المفاجأة مذهلة ..

وعلى ضوء الشموع بالغرفة رأوا (فون اشنهاوزن) يجلس على طرف مكتب كبير ، وعيناه على الرجل الآخر . الواقف إلى جانب الفتاة المقيدة فى المقعد . وفى لحظة كان (ريتشارد) قد دفعه من فوق المكتب ، وانحنى فوقه ، ويداها تضيق الخناق حول عنقه ، ورقد ساكنا وهو يكاد يختنق ، وشعرت (فرانسيس) باليد الحديدية تترك كتفها ، وحاولت أن تبعد وجهها عن ضوء المصباح المتوهج أمامها ، وقد سمعت صوت اندفاع الأقدام فى الغرفة ، ولكن الضوء كان يخرق جفونها ويلهب عينيها . وكان هناك صوت لكمات شديدة تصيب شخصا ما ، وتأوهات مع الضربات المتلاحقة ، ثم سمعت صوتا يشتم بألفاظ نابية ، وعرفت الصوت .. إنه

(فان كورتلاند) .. (هنرى) .. وحاولت بضعف شديد أن تتحرك فى قيدها ، من الحبال التى تنفرز فى جسدها ، ثم جاءها صوت (بوب) أيضا إلى جانبها ، وسمعت المصباح يسقط ، واختفى الضوء المتوهج ، وتوقفت الأم الحبال فى جسدها ، وانحنت إلى الأمام ، ولكن يذا قوية سندها بلطف شديد ، وكان صوت (بوب) بجانبها ، يقول لها أن تتحرك ببطء ، حتى تجرى الدماء فى عروقها مرة أخرى ، وألا تقلق وأنها على ما يرام .. كل شيء على ما يرام .. إذن لابد أن (ريتشارد) أيضا فى أمان .. كانت تسمع صوت أنفاس الرجلين الذين يتصارعان أمامها ، و (فان كورتلاند) يصوب لكماته للرجل (كورت) ، وحاولت فتح عينيها ، واستطاعت أن ترى وجه (ثورنلى) يتضح تدريجيا أمام عينيها ، وهو يراقب (فان كورتلاند) فى إعجاب وسرور ، وكان الرجل يحاول أن يكسب لحظة ، وأدرك (ثورنلى) ، ولكن قبل أن يصيح محفزا ، كان الرجل قد تفادى اللكمة ، ووضع يده على جيبه الخلفى ليخرج مسمسه ، رأى (فان كورتلاند) حركة يده فى الوقت ذاته ، وأمسك بمعصم الرجل ، ولفه بقوة ، وانطلقت الرصاصة لتدخل فى الحائط الخشبي ، وانتزع المسدس من يد الرجل ، ولكنه سقط منه على الأرض ،

وتصارع الرجلان على الوصول إلى المسدس تحت
أقدامهما ، وفى اللحظة التى تمكن فيها الرجل الألمانى من
وضع يده فوق المسدس ، بعد أن دفع (فان كورتلاند)
دفعة قوية ، انطلق مسدس (ثورنلى) أولا ، ورقد الرجل
إلى جانب مسدسه .

وسمعت (فرانسييس) (ثورنلى) يقول لها مرة أخرى
بصوت هادئ واضح :

- هل يمكنك أن تتماسكى الآن يا (فرانسييس) ؟
سأعود إليك .

هزت رأسها ، وهى تشاهده يساعده (فان كورتلاند)
على الجلوس إلى جانب الحائط حيث سقط ، وقال
(ثورنلى) :

- لقد جعلت لكلماتك وجهه عجيبة من الدماء .. لن
يستطيع أحد التعرف عليه .

ابتسم (فان كورتلاند) ، وقال :

- كيف حال الآخر .. ذلك الكلب القذر هناك ؟

جاءهم صوت (ريتشارد) يقول :

لقد فقد الوعي منذ دقيقة .. هل (فرانسييس) على

ما يرام ؟

عاد (ثورنلى) إليها ، وقال وهو يمسك بها برفق :

- تمهلى يا (فرانسييس) .
وأمسك بالحبل الذى كان يقيدُها ولفه ، ثم رماه نحو
المكتب ، قائلاً :

- ستحتاج إلى هذا .. سأكون معك فى الحال .
وساعد (فرانسييس) لتسند ظهرها على المعقد ، ونظر
إلى الأمريكى .

كان على ما يرام .. لقد فرد ساقيه أمامه فى بضع ،
وهو جالس مستند إلى الحائط ، ويداه فى جيبى صدريته ،
ونظر (ريتشارد) إلى (فون أشنهاوزن) الملقى أمامه
وراء المكتب .. فاقد الوعي ، ويداه مفرودتان ، كل واحدة
فى ناحية ، وأمسك الحبل بيد ، ويده الأخرى ما زالت
تقبض على عنق (فون أشنهاوزن) ، ولكن يدا واحدة لم
تكن تكفى ...

وشعر بغلظته ، فى اللحظة التى أمسك بها الحبل ، وفى
أقل من ثانية ، كان (فون أشنهاوزن) قد أطاح بالشمعدان
المشتعل من فوق المكتب ، فى وجه (ريتشارد) .
وبينما هو يتعثر من وقع الصدمة ، ويمسح الشمع
الساخن من جفنه الأيسر وصدغه ، رأى (فون
أشنهاوزن) وقد أخرج مسدساً من درج المكتب ..
وسمع الطلقات ..

★ ★ ★

رات (فرانسييس) المسدس موجهًا نحوها ونحو
(ثورنلى) ، ودفعها (ثورنلى) بقوة شديدة ، وهى تسمع
صوت طلقتين ، ولم تعرف هل أصابتها الطلقات فى
رأسها ، أم أن ما تشعر به هو من صدى الصوت
الشديد ؟!.. وهوى (فون آشتهاوزن) من أمام المكتب
ساقطًا على الأرض ، وكذلك هوى مسدسه من يده ،
ووقف (ريتشارد) حيث كان قد تعثر عند الشمعدان
المشتعل ، أما (ثورنلى) ، فقد كان على ركبتيه إلى جوار
(فرانسييس) ، حيث دفعها ليحميها من الطلقات ، وكان
(فان كورتلاند) هو الوحيد الذى يبتسم ابتسامة عريضة ،
وهو يشير بارتياح بمسدسه ، الذى ما زال يدخن ، إلى
جثة الألمانى ، وقال :

- لقد تعلمت منك بسرعة يا (بوب) .

نظر بعضهم إلى البعض ، وكانوا جميعًا سالمين ، ثم
ضحك (ثورنلى) ضحكة قصيرة مرحة ، والتقط
(ريتشارد) المسدس ، واتجه إلى (فرانسييس) ، ووضع
يده على وجهها ، ورفعت ذراعيها إليه ، وعندئذ شعرت
بالألم الشديدة ، ونظرت إلى ذراعها اليسرى بدهشة ،
وكانت مثل الطفل الذى يسقط ، ولا يشعر بالألم ، إلا عندما
يرى الدماء ..

كانت السماء تسيل من ذراعها ، من جرح غائر به ،
وهي تنظر إليه غير مصدقة ، ثم شعرت بالألم الحقيقي مع
نبض قلبها ، وكان (ريتشارد) إلى جانبها . ينظر إلى
ذراعها . ولم يتكلم ، وقال (ثورنلى) :
- يا إلهى .. الإصابة من الناحية الداخلية للذراع ،
قريبة من صدرها .

وقام (فان كورتلاند) من مكانه وهو يعرج ، ثم قالت
(فرانسيس) :
- أريد أن أشد

ولم تستطع أن تكمل كلمة (أشرب) ، وبدأت صورهم
والحجرة أمامها تهتز فى عينيها ، ثم شعرت
بـ (ريتشارد) يحاول أن يسقيها من زمزميته ، ويضع فى
فمها أكثر مما تستطيع أن تبلعه ، وقال أحدهم :
- ستكون على ما يرام .. انظر إلى ذراعها .

وأخرج (فان كورتلاند) منديلته الأبيض وطواه ،
وذهب (ثورنلى) إلى المكتب ، وعاد بزجاجة من شراب
قوى ، وقال :

- إنها لا تحتاج ذلك الآن .. لقد ذهب عنها الشعور
بالدوخة ، ولكنها متعبة .. متعبة جداً .
لو أمكنها فقط أن تخبرهم .. لابد أن تخبرهم الآن ..

لو أنها فقط استطاعت أن تتذكر الأشياء في ترتيب سليم
متسق ..

وأمسكت بيد (ريتشارد) و (ثورنلي) يسكب بعض
الكحول على الجرح ، وجاهدت لمتحكم في صوتها ، وهي
تتظر إلى (فان كورتلاند) ، وقالت :

- لقد أوقفوا سيارتك في طريق (جينباخ) ، وبها
صديقك ، وعادوا به إلى (انزبروك) .. لقد اتصلوا
تليفونيا هنا .. وهذا الرجل ..

ونظرت إلى جثة (كورت) قبل أن تتابع :
- نزل إلى أسفل ، وأرسل الجنديين إلى (انزبروك) ..
إنهم يحاولون معرفة تحركاتك .

قال (فان كورتلاند) :
- نعم .. إنهم يعرفون الآن ما حدث .. هذا يعني أن
السيارة التي معنا أصبحت خطرة .

وأضاف وهو يتجه إلى المكتب :
- علينا أن نجد سيارة أخرى ، أو نسافر بالقطار ، أو
إذا تأزم الأمر أن نتسلق الممر الجبلي معا .

ثم توقف فجأة . ومر بيده على شعره ، وقال :
- على فكرة يا (ريتشارد) .. ماذا يستعمل هؤلاء
الألمان ، عندما يريدون الدخول إلى البلد ، دون فحص
أمتعتهم ؟

ودفع جثة (فون أشنهاوزن) بقدمه في احتقار ،
وحاولت (فرانسيس) أن تتذكر في جهد شديد .. لقد كان
هناك شيء يناسب كل هذا ، وكان (ريتشارد) يقول :
- الفرصة أصبحت ضعيفة أمامهم ، ولكن يمكن
لـ (كورتلاند) أن يفتش أدراج المكتب ، وكان (هنري)
يقوم فعلاً بفتيش جيوب (فون أشنهاوزن) .. ولقد وجد
بعض المفاتيح ، وقال (فان كورتلاند) ، وهو يحاول فتح
أدراج المكتب :

- هل تسمون شيئاً يحترق ؟
وفتح الدرج ليجد مجموعة من الأوراق ، ونوتة
للكتابة ، وختم وخاتمة ، وقال (ثورنلي) ، وهو يمسك
ذراع (فرانسيس) ، في حين يقوم (ريتشارد) بتضميده :
- ربما يكون ذلك من الشمع ، الذي سقط على
السجادة .

كان (فان كورتلاند) يفحص الأوراق التي وجدها ، ثم
أطلق صغيراً خافتاً من فمه ، وقال :
- هذه أوراق هامة للغاية ..
ثم نظر إلى السجادة ، وقال :

- نعم .. النار أمسكت بها ، وكذلك بسلة الأوراق
المهملة .. إنها فكرة جيدة .. بالضبط مثل

(الريجستاج) .. كما يفعلون هم .

وفتحت (فرانسيس) عينيها ، وقد شعرت برنة
الابتهاج في صوته .. وفعل .. كانت هناك شعلة نار في
سلة الأوراق المهملة ، وكان (فان كورتلاند) هناك عند
المكتب ، يقرأ الأوراق التي وجدها بهدوء تام وعدم
مبالاة . ثم كان هناك فوق المكتب المظروف حيث ألقاه
(فون أشنهاوزن) من قبل ، قائلًا إن النقود لن
تساعدكم ، وقالت :

- النقود .. في المظروف على المكتب .. لقد فتشوني
وأخذوها .

لم يتكلم (ريتشارد) ، ولكنه ضغط أسنانه بشدة ،
ليتحكم في مشاعره ، وحاولت (فرانسيس) أن تتذكر
ما قاله لها ، عندما وجد النقود ..
لقد قال : إن النقود لن تفيدكم .. وقال شيئًا مهمًا ،
يمكن أن يفيد (فان كورتلاند) ..

ثم انطلقت منها الكلمات بسرعة ، وهي تتذكر :
- لقد قال : إنه حتى لو عبرتم الحدود .. أي حدود ،
فإنهم سيتبعونكم ، ويعيدونكم مرة أخرى من (إيطاليا) أو
(سويسرا) .. إن لديه تلك السلطة ، وأنتم لن تستطيعوا
شيئًا .. لقد أمسك في يده بعض الأوراق ، وهو يلوح بها ،

ويخبط بها على المكتب ، وهو ينظر إلى .. لقد قال إنهم
أمسكوا (كروستايير) ، وأن (هنرى) و (بوب) قد
اعترفوا بكل شيء لينقذا نفسيهما ، وأنهم يعرفون كل
تحركاتنا الآن .

وتساءل (ثورنلى) عما قاما به غير ذلك ، حتى
يجبراها على الاعتراف ، ورأى معصميهما وملابسها
الممزقة ، وعلى كتفها علامات الحروق ، وكان خدها
الأيمن متورما أحمر اللون ، وكذلك العلامات الزرقاء
والكدمات فى ساقيهما .. ثم تذكر كلمات صديقه تونى عن
(ماريا) .. على الأقل (فرانسيس) ما زالت حية ،
وسيشفى جسدها من جراحه ..

لقد أنقذوها من أن تكون (ماريا) أخرى ..

ثم تحرك نحو الباب .. وقال :

- سأكتشف المكان ، وخاصة (الجراج) .. لا تنتظروا

طويلا هنا ، فالتار ستشتعل فى المكان .

قال (فان كورتلاند) ..

- (فرانسيس) .. هل رأيت أين وضع تلك الأوراق

التي كان يلوح بها لك ؟

قالت :

- لقد كان عند المكتب .. لابد أنها فيه .

وفكرت .. ربما كان يكذب ، كما كذب بشأن الأشياء
الأخرى .. إنه كان يخلط الحقيقة بالكذب بطريقة ماهرة ،
ورأيت (فان كورتلاند) وهو يبحث في المكتب ، ثم ظهر
عليه الارتياح وابتسم ، وقال :

- حسن .. إننا قد نستفيد من ذلك جيدا ..

ثم دق جرس التليفون ، نظر إليه ثلاثتهم ، كما لو كان
ثعبان الكوبرا ، وسار (ريتشارد) بسرعة نحو التليفون ،
ورفع السماعة ، و (فرانسيس) و (فان كورتلاند)
ينظران إليه ، وقد حبسا أنفاسهما في توتر شديد ، ولكن
الألمانية التي تكلم بها في التليفون كانت بصوت (فون
آسنهاوزن) ، ونظر (فان كورتلاند) إلى (فرانسيس) ،
وهز رأسه بارتياح ، قبل أن يعاود كتابته في الأوراق
أمامه ..

كانت سلة المهملات تشتعل جيدا ، والسجادة كذلك
تدخن ، وقد احترقت فيها ثلاث بقع سوداء ، حيث سقطت
الشموع ، وكانت الحجرة مضاءة الآن بضوء اللهب
المشتعل في السلة ، و (ريتشارد) ينصت لقصة ما على
الطرف الآخر ، بعد أن تكلم برهة قصيرة ، في لغة ألمانية
متميزة ، ثم قطع الإيضاحات المستفيضة ، كما لو كان قد
نقد صبره ، وقام بإعطاء تعليماته .. إن الأمريكي لا فائدة



وتوقفا قليلاً عند نهاية الممر، الذي يمشيان عليه في ركن المبنى، ثم
استدارا عائدين نحو واجهة القلعة.

ترجى منه .. والفتاة قد تكلمت ، واتضح أنه لا يعرف شيئا
على الإطلاق ، وعليهم أن يطلقوا سراحه ، بعد أن يعطيهم
أوصاف سيارته ، التي أبدلها بسيارة الأمريكي الآخر
(فان كورتلاند) ، ومعه الإنجليزي (ثورنلى) ، فى
(سانت أنطون) ، ليتمكنوا من اقتفاء أثرهم .. إنهم
سيتقابلان مع (ريتشارد مايلز) فى ذلك المكان غدا ، ثم
يتجهون لعبور الحدود السويسرية .. عليهم أن يراقبوا
تلك الحدود جيدا ..

وعاد (ريتشارد) ينصت ، والرجل الآخر يتكلم ،
وكانت السنة الذهب المتصاعدة تضىء وجهه ، وهو يركز
فى سماع ما يقول ، ثم قال :

- نعم .. سأسمح لهم بالبقاء فترة أطول .. سابقى أنا
هنا مع (كورت) ، حتى أنتهى من تحقيقائى .. سأصل إلى
(سانت أنطون) غدا صباحا .. حاولوا الإمساك بهم أحياء
إذا أمكن .. إننى أعتمد عليكم .

وضع (ريتشارد) السماعة ، وهو يفكر ، ثم قال :
- ذلك سيجعلهم يطلقون سراح صديقك يا (هنرى) ،
ويعطينا فترة نتصرف فيها .. الجنود قد انتهوا من
الاستعراض بنجاح ، وهم الآن يتناولون طعامهم ، قبل أن
يذهبوا إلى اجتماع عام .. لقد سمحت لهم بالمشاركة

فيه ، ولن يعودوا قبل العاشرة مساء .. إن الجو أصبح
حاراً هنا .. أليس كذلك ؟

وقف (فان كورتلاند) ، وناوله الورقة ، التي انتهى
من وضع ختم (فون أشنهاوزن) عليها ، وقال :
- ليس حاراً بما يكفى ، ولكنه سيكون كذلك عند
الساعة العاشرة ، مع بعض الإضافات من جانبنا .
وذهب إلى الناحية الأخرى من المكتب ، ودفع السلة
المشتعلة ، لتسقط فوق السجادة ..

كانت النار قد أمسكت فى المكتب نفسه ، فى الجانب
الذى كانت به السلة ، وبدأت ترتفع النيران ، وهو يجمع
الأوراق التى فى المكتب ، ويضعها بالقرب من النار ،
وطوى (ريتشارد) الورقة بحرص ، ووضعها فى جيبه ،
وهو يقول :

- إنها ممتازة يا (هنرى) .

وابتسم الأمريكى وهو يضع الشمعدان الآخر تحت
الستائر ويفتح النوافذ .. لقد كان كل شيء سهلاً .. كان
عليه فقط أن يغير تغييراً بسيطاً فى الورقة لتناسب
غرضهم .. إن هذه ميزة التعامل مع عدو منظم بطريقة
روتينية .. إنك تستعير فقط طريقتهم ..

ثم رمى الشمعة الأخيرة فوق الأريكة ، التى عليها

صف من الوسائد ، وقال :

- تحركوا أبها الرفاق .

ثم أخذ سترتى الرجلين الألمانيين ، وقبعتيهما من فوق المقعد وخرجوا جميعا ، تاركين الباب مفتوحا على مصراعيه ، ووقف (ريتشارد) وذراعه حول وسط (فرانسيم) يسندها ، وينظر نظرة أخيرة ، وكان تيار الهواء بين النافذة والباب يقوم بعمله جيدا ، وقال (فان كورتلاند) :

- إنها جنازة عظيمة لهؤلاء الفاكنج .

وساروا فى صمت ، ينزلون السلم ، وهم يسمعون صوت ألسنة النيران تتأجج من ورائهم .
وتلتهم كل شيء .

★ ★ ★

١٣ - ممر (برينر) ..

وجدوا (ثورنلى) واقفا فى انتظارهم فى الظلام ، الى جوار سيارة كبيرة رسمية ، وقال :
كانت هناك سيارة أخرى ، وبعض الدراجات البخارية ،
وقد قمت باللازم ، وعطلتهم جميعا .
وقال (ريتشارد) ، وهو يضع (فرانسيس) داخل
السيارة :

- حبيبتي .. لا بد أن نحضر السيارة الأخرى ، ومتاعنا
الذى فى داخلها .. سأحضر بعد قليل .
ثم قال لـ (ثورنلى) :
- سنقابلك على بعد خمسة أميال جنوب هذا الطريق ..
انتظرونا هناك .

هز (ثورنلى) رأسه ، وأعطاه البطارية ، وقال (فان
كورتلاند) ، وهو يلقي الملابس العسكرية داخل السيارة :
- ارتد هذه .. سنؤخرك فقط حوالى عشرين دقيقة .
تحركت السيارة الكبيرة ، وسار الرجلان نحو الحديقة
فى الخلف ، وعندما مروا من أمام باب المطبخ ، تذكروا
فجأة الطباخ المقيّد بالداخل ، وحاول (ريتشارد) دخول

المطبخ ، ولكنهم كانوا قد أغلقوا الباب من الداخل ، ولم
يستطيعا كسره ، وقال (فان كورتلاند) :

- إننا أغبياء لاهتمامنا به .

ثم جرى إلى واجهة القلعة ، وفتح باب المطبخ من
الداخل ، وقال :

- لقد فقدنا بذلك خمس دقائق .

ثم حملا الرجل وهو فاقد الوعي إلى الشجيرات
البعيدة ، وأخذا يجريان بسرعة ، حتى وصلا إلى الغابة
المظلمة الساكنة ، وكان الوقت ما يزال مبكرا ، قبل أن
يرتفع ضوء القمر ، ووضع (ريتشارد) يده على الضوء
الصادر من البطارية ليخفف منه ، وهما يبحثان عن
الممر ، ويحاولان قياس المسافة إلى شكل ممتد أسود ،
لا يد أنه شجيرات العنب ، ثم عرفا طريقهما ، ونظر كل
منهما إلى الآخر في ارتياح ، و (ريتشارد) بسط الضوء
على الأغصان ، ليجد العلامات التي تركها سكين
(ثورنلي) ، واندفعا مسرعين ، ينزلقان نحو الطريق ،
ووجدا السيارة هناك ، وقال (فان كورتلاند) :

- إننا متأخرون عشر دقائق على الأقل .

ولكن صوته كان مبهجا ، ووجد (ريتشارد) نفسه
يشعر بالارتياح ، والسيارة تهتز بهما في الطريق الوعر ،

ثم تسرع بعد ذلك فى طريق (برينر) ..
إن ما كان يبدو مهمة انتحارية منذ ثمان وأربعين
ساعة فقط ، قد تحقق بنجاح ، والأمر الآن مجرد بضع
دقائق ، قبل أن يروا السيارة الكبيرة السوداء ، وهى
واقفة على جانب الطريق ..

كانت النجوم قد بدأت تلمع فى السماء ، فوق
(البرينر) ، والرجل الواقف عند بوابة الجمر يراقب
الناحية الأخرى ، والحاجز الأبيض الممتد باهتمام ، وكان
يتساءل عما حدث هذه المرة ، فالألمان كانوا يعملون
بنشاط ، ويوقفون السيارات الخارجة من (ألمانيا) ،
وكذلك الداخلة إليها .. إنه شيء مزعج الانتظار هنا ،
وعينك على الضوء ، وأنت لا تعرف متى ستقدم السيارة
نحوك ، .. فى بعض الأحيان يستغرق الأمر دقائق
معدودات ، وفى أحيان أخرى أكثر من نصف ساعة ..
وتساءل مرة أخرى عن السبب فى ذلك ؟ .. إن هؤلاء
الألمان لا يخبرونك بشيء إلا إذا كان أمراً غير مهم ..
واستند على قدميه الأخرى ، ونظر إلى المكتب
المضاء ، ورائه ، ونظر إليه الرجل الجالس على المكتب
هناك ، وسأله :

- هل هناك ما يحدث يا (كورادى) ؟

اثنان مازالا واقفين هناك .

ابتسم الرجل الإيطالى الطويل النحيل ، الجالس إلى المكتب بسخرية ، وعاد إلى كتابته ، فى حين تنهد الآخر بصوت عال ، ومشى ببطء نحو الحاجز .. إن هذا التوتر مثل ما يحدث اليوم دائما يزعجه ، وسمع أصوات الآخرين ، وهم يخرجون من المقهى فى الشارع ، وقال لنفسه فى وجوم :

- إنه يحتاج إلى بعض القهوة أيضا .

وتوقف أمام المقهى اثنان من الموظفين ، ونظرا إلى شارع القرية الخالى من الناس ، وأضوانه الخافتة .. كان الضوء الوحيد ينبعث من باب مكتب الجمرك ، وقال الشاب الصغير فيهما ، وهو ينظر إلى البيوت القليلة المبعثرة ، والمحطة التى تعوى فيها الرياح ، وقال :

- هكذا المكان لا يحتمل .

قال الآخر :

- انتظر حتى تقضى فصل الشتاء هنا .. على الأقل لا يمكنك الشكوى الآن من كثرة العمل .. أصدقائنا فى الناحية الأخرى يقومون بكل العمل لنا .

ثم أضاف :

- كان بإمكاننا شرب قدح آخر من القهوة .

ولكن صديقه الشاب كان قد مشى فى الطريق ، ووقف
ينتظره ، وعاد يقول :

- عندما تكون قد قضيت هنا مدة طويلة مثلى ،
ستعرف إنه لاداعى على الإطلاق للاهتمام فى يوم مثل
هذا .. أقرباؤنا الألمان لن يتركوا لنا شيئا نصادره .

ونظر إليه الشاب بسخرية ، فإن ذلك الرجل لو كانت
لديه أية إمكانيات ، لكان الآن فى مكتب مريح ، فى مدينة
هامة .. إن طريقته فى الكلام عن الألمان ، وانتقادهم
بطريقة مأكرة ومضحكة فى نفس الوقت ، تدل على أنه
محدود التفكير . ولكن فضوله تغلب على سخريته ، وقال
وقد اقتربا من مكتب الجمرك :

- هل هذا شيء مألوف ؟

- كلما حاول أحدهم أن يهرب من أرض الآباء الحبيبة .

- ولكن من الغباء محاولة المرور من هذا الطريق .

- ليس هناك غير هذا الطريق ، أو الجبال ، أو

القطار .. إن دوريات الحدود قد زاد عددها ، والقطارات
مراقبة ويتم تفتيشها .

قال الشاب بحدة :

- إنه تنظيم كفاء للغاية .

هذا الغبى كان أيضا مكارا .. إنه يختار الفاظه بحيث

لاستطيع أن تكتب عنه تقريرًا ، وتبادل الرجل الإيطالي
الطويل النحيل ، الذي خرج من المكتب الابتسامات
الصاخرة مع الرجل الكبير في العمر ، متجاهلاً ملحوظة
الآخر ..

لقد كان كلاهما يشعران بالسأم ، من هؤلاء الصغار
وشعاراتهم ، ورأوا أنوار السيارتين الصغيرتين تتحرك
أخيرًا ، ووراءهما تقدّمت سيارة كبيرة سوداء رسمية ،
وبدا على وجه (كورادى) الاهتمام ، وقال :
- إنهم لم يوقفوا هذه السيارة .. لقد قاموا بتحية من
فيها رسميًا .. من الأفضل عدم إيقافها هنا أيضا .. إنهم
لا يحبون ذلك .

هز الرجل الطويل النحيل رأسه ، وقال للشاب
الصغير :

- اهتم أنت بها ، ويمكنك مشاهدة بعض المنظمين
الأكفاء ، للتنظيمات ذات الكفاءة العالية .. ربما لديهم
أيضا تصريح دبلوماسى .

لم يرد الشاب ، وسار وهو يتظاهر بعدم المبالاة نحو
السيارة الكبيرة ، ولكنه يكاد يقفز من الاهتمام داخله .. إن
(كورادى) على حق .. الألمان لا يحبون الانتظار .. ولوح
له ذراع يرتدى حلة ضابط بورقة فى يده ، ومسح من

يطلب التعجل بطريقة أمره ، فأخذ الورقة .. لم يكن يتكلم
الألمانية بطلاقة كما كان يتظاهر ، ولكنه عرف أن تحيته
لهم كانت جيدة .. لقد بدا مهتماً بعمله تماماً ، وهو يأخذ
الورقة ، وينظر فيها بسرعة .. والتوقيع الذى عليها
جعله يحبس أنفاسه .. كان بالسيارة أربعة أشخاص .. كل
شيء مضبوط .. وشعر بنظرة الألمانى الباردة إليه ..
والفضول يكون من سوء الأدب .. وطوى الورقة بطريقة
عملية .. السرعة والأدب .. ذلك سيثبت لهم أنه توجد
كفاءة هنا أيضا .. ورفع يده بالتحية ، والسيارة السوداء
الكبيرة تنطلق عبر الحاجز المرتفع ، واستدار نحو
الآخرين .. لقد لاحظ أن (كورادى) قد حياهم أيضا ..
ولكن الأغبياء الآخرين كانوا مشغولين بفحص وختم
جوازات السفر ، والإجابة بأدب ولطف على ثلاثة من
الإنجليز الكبار فى السن ، وعندما انتهوا من السيارتين
الصغيرتين وانطلقا فى طريق القرية ببطء ، استداروا
وسألوا :

- حسن .. من كان فى تلك السيارة ؟

وتجاهل ابتساماتهم ، وقال بهدوء مقتعل :

فوهرر (فون أشنهاوزن) ، ومعه ثلاثة آخرون .. إن

معهم تصرخا من ..

ولكن الآخرين لم يهتموا . وعادوا إلى المكتب . أما
الشاب الصغير فقد بقي في الخارج ، ينظر إلى النجوم ..
لقد كان يشعر بارتياح شديد لتلك الفرصة التي أثبت فيها
كفاءته ..

وبسعادة غامرة .



١٤ - نهاية الرحلة ..

كانت الرحلة السريعة ، فى طريق (برينر) كابوس مزعج بالنسبة لـ (فرانسيس) .. لقد كانت تشعر بذراعها المتيبسة ، والحروق فى معصمها ، التى يلفحها الهواء البارد ، وكانت منهكة ، وتشعر بالألم فى عضلاتها المشدودة ، وحاول (ثورنلى) بلطف شديد حمايتها من اهتزاز السيارة فى الطريق الجبلى ، وأمامهما كان يجلس (ريتشارد) و (فان كورتلاند) . فى وجوم ، تحت قبعاتهما الألمانية ، ولم تترك عينا (فان كورتلاند) الطريق ، وكانت هناك خريطة مفرودة على ركبتي (ريتشارد) ، وعلى الرغم من أنهم مروا من حدود (برينر) بسلام ، لم يتركهم القلق ولا توتر أعصابهم ، وأقنع (ثورنلى) (فرانسيس) بأن تأكل قليلا ، وكان يهتم بها فى لطف شديد ، حتى أنها أكلت لتسعده فقط ، وأدهشها أن يهتم بشعورها بالغثيان والبرودة ، التى كانت تنتشر فى أطرافها ، وبدأت تشعر بالتحسن والدفء يسرى فى أوصالها ، ولكنها لم تستطع النوم ، على الرغم

من عبورهم الحدود بسلام ، ومن رغبتهما في أن تريح
النبض المولم في مقلتيها .

ومضى الوقت ، ومروا عبر الكثير من القرى ، حتى
وصلوا إلى (بلزانو) ، واخترقوها أيضا مسرعين
بسيارتهم ، وبدأت تشعر بالارتياح ، وتشعر بطعم
البسكوت الجاف الذي تأكله .. لقد كان طعمه لذيذا ، وكان
الآخرون يأكلونه أيضا ، وهي تنظر إليهم ويغالبها
النعاس ، وارتخت عضلاتها المشدودة ، وراحت في
سبات عميق ..

ظنت في أول الأمر أن (فون أشتهاوزن) يمسك
بكتفها ، وينحني فوقها ، ولكن قبضته لم تكن قوية
أو مؤلمة ، ولكنه (ريتشارد) .. (ريتشارد) يحاول أن
يبتسم ، وهو يقول :

- (فرانس) :

ثم قبل وجنتها ..

كانت السيارة قد توقفت في ظلال بعض الأشجار ،
وكان هواء الليل يهب في لطف ، والسماء جميلة بنجومها
المضيئة ، وذراع (ريتشارد) حول وسطها ، ولجأة
تذكرت (بوب) و (هنري) ، وهتفت :

- أين هما ؟

إنهما يغتسلان في جدول صغير هناك ليستعيدا نشاطهما ، عندما ينتهيان سذهب نحن .. يمكننا أن نبدل ملابسنا أيضا ، (هنرى) أحضر أمتعتنا معه في حقيبته . نظرت (فرانسيس) إلى الأشجار ، وقد أضاءها نور القمر ، وقالت :

- لقد اتجهنا إلى الجنوب .

- نحن تقريبا بالقرب من (فيرونا) .. الساعة الآن الواحدة ، وكل شيء على ما يرام .
وقال صوت (فان كورتلاند) :

- نعم .. كل شيء على ما يرام .. سأحضر الآن ملابسكما ، وسيقولكما (بوب) إلى جدول الماء .
واتجها إلى الماء ، وغسلا وجهيهما في الماء البارد ..
كان الجرح في ذراعها ، من أثر احتكاك الرصاصة به ، قد نزف كثيرا ، ورأى (ريتشارد) ألا ينزع عنه الضمادة ، فمزق قطعة من قميص (هنرى) ، الذى كانا يستعملاه كمنشفة ، وربطها فوق المناديل الملوثة بالدماء ، وكانت الملابس التى أحضروها لها عبارة عن معطف قديم رمادى اللون ، له حزام حول الوسط ، بيديه رمادى ، وكذلك فستان وحذاء وجوارب ذات شكل عادى ، غير ملفت للنظر . كذلك كانت ملابس (ريتشارد)



وانجها إلى الماء، وغسلا وجهيهما في الماء البارد..
كان الجرح في ذراعها، من أثر احتكاك الرصاصة به..

لاشكل لها ، قديمة مستعملة ، وصفت (فرانسيس)
شعرها ، وحاولت إخطاء الكدمات في خدها على قدر
الإمكان بيدها اليمنى ، وكان من المستحيل أن ترتدى
الفستان دون أن ينزف الجرح مرة أخرى ، فساعدتها
(ريتشارد) لترتدى المعطف ، وكان الحذاء كبيراً على
قدميها ، ولكن لحسن الحظ كانت له أشرطة لتربطه ،
ونظر كل منهما إلى الآخر ، وبدت على وجهيها
ابتسامة ، ثم عادا إلى السيارة ، ومعهما الملابس التي
خلعاهما ، والفستان الذي لم تستطع ارتدائه ، وقال
(ريتشارد) في مرج :

- يمكنكما أن تضحكا .

وضحك (ثورنلى) و (فان كورتلاند) على
منظرهما ، وقال (بوب) :

- منظركما ليس سيئاً في الحقيقة ، فقد رأيت المنات
مثلكما في شوارع (ألمانيا) .

وقال (هنرى) :

- هناك ميزة في هؤلاء النازيين الملاحين .. إنهم
يجعلونك تقدر السعادة البسيطة في الحياة الآمنة .

وقاد (ثورنلى) السيارة هذه المرة ، وقاموا بالاتفاق
على خططهم الأخيرة .. يسافر (ريتشارد)

و (فرانسيس) إلى (جرينوبل) ، بجوازات السفر
الألمانية ، والتي عليها أختام دخول إيطاليا ، كما أعدها
لهما (شولتز) ، وإذا قبلت محطة السكك الحديدية نقودها
من الماركات ، يسافران في الصباح الباكر ، وإذا لم تقبل
فعليهما الانتظار حتى تفتح البنوك أبوابها ، في حين يقوم
(فان كورتلاند) و (ثورنلى) بقيادة السيارة خلال
(لومباردى) ، حتى يجعل ضوء النهار قيادة تلك السيارة
خطرا ، وعندئذ يتخلصان منها ، ويتجهان إلى الحدود
السويسرية ، إذا لم يكونا قد وصلا إليها قبل طلوع النهار ،
فقد كان (فان كورتلاند) واثقا من أنه يستطيع ذلك ،
وقسموا الماركات فيما بينهم ، ووضع (فان كورتلاند)
القميصان وقميصين إضافيين لـ (ريتشارد) ، وجوارب في
حقيبة صغيرة لهما ، ولم يستطيعوا التفكير في أكثر من
ذلك ، فالتفاصيل ستعتمد على حسن التصرف والحظ ،
وسيتقابلون في (باريس) ، وأعطاهما (فان كورتلاند)
عنوان فندق معين ، وهو يقول :

- ذلك الفندق يديره أمريكي ، يعيش هناك منذ الحرب
الأخيرة .. ستكونان في أمان هناك .. فقط احتاطا ،
وتصرفا بحرص ، حتى تصلا إليه ، وعندئذ سنحتفل معا .
كان يتكلم في ثقة وروح مرحة ، ووجدت (فرانسيس)

نفسها تضحك ، ثم بدأت الدموع تسيل على خديها دون توقف . على الرغم من شعورها بالألم فى عينيها ، وقام (ثورنلى) بإدارة جهاز الراديو بالسيارة ، وانسابت موسيقى خفيفة . وهى تبكى فى صمت ، ثم قال (فان كورتلاند) :

- المبانى قد بدأت فى الظهور .. من الأفضل أن تستعدا .

كانت (فرانسيس) قد تحكمت فى نفسها ، ومسحت وجهها ، ثم وضعت عليه قليلا من البودرة ، وقالت :
- أنا مستعدة .. فى أى وقت .. سنراكما فى (باريس) .

وابتسمت وهى تقول :
- أسفة جدا على ما حدث .. لقد تسببت فى إفساد خططكما .

قال (فان كورتلاند) :
- خططى كانت ستفسد على أية حال .
وأوقف (ثورنلى) السيارة ، وقال :
- كذلك أنا .. ليس لدى خطط يا (فرانسيس) ..
لا تفكرى فى ذلك .. لقد وصلنى خطاب من (تونى) مؤخرا .

- (توني) ؟

- نعم .. إنه عائد إلى الوطن ؛ ليتطوع في الجيش .

- والفتاه التي في (تشيكوسلوفاكيا) ؟

شعرت (فرانسيس) في الحال بالخرج من سوالها ،
وقال (ثورنلي) ، وهو ينظر إلى أسفل :

- لقد انتحرت .

وانحنى (فرانسيس) إلى الأمام ، ولمست كتف
(ثورنلي) بيدها اليمنى برهة ، ثم كتف (فان
كورتلاند) ، وساعدها (ريتشارد) على الخروج من
السيارة ، ثم قال بصوت حاد ، لم يندهشوا له :

- نعم .. لابد من التعاون الدولي .. هذه ليست النهاية
بالنسبة لأي منا .. إنها مجرد البداية .

سادت لحظة صمت بينهم ، ثم قام (ثورنلي) بتشغيل
محرك السيارة مرة أخرى ، وانطلقت السيارة في الظلام ،
وأمسك (ريتشارد) الحقيبة الصغيرة في يده ، وذراع
(فرانسيس) الأيمن في يده الأخرى ، وسارا ببطء في
الشوارع المظلمة ، يسترشدان ببعض الأنوار البسيطة
المتفرقة ، حتى شاهدا المحطة على بعد ، وأمسكت
(فرانسيس) بيد (ريتشارد) ، وضغطت عليها ..

إنها مطمئنة إلى النتائج؛ فلن يوقفهما أحد؛ لأنهما
يبدوان مجرد سائحين عاديين ..
وفوق مستوى الشبهات .



(تَمَّت)

فوق مستوى الشبهات

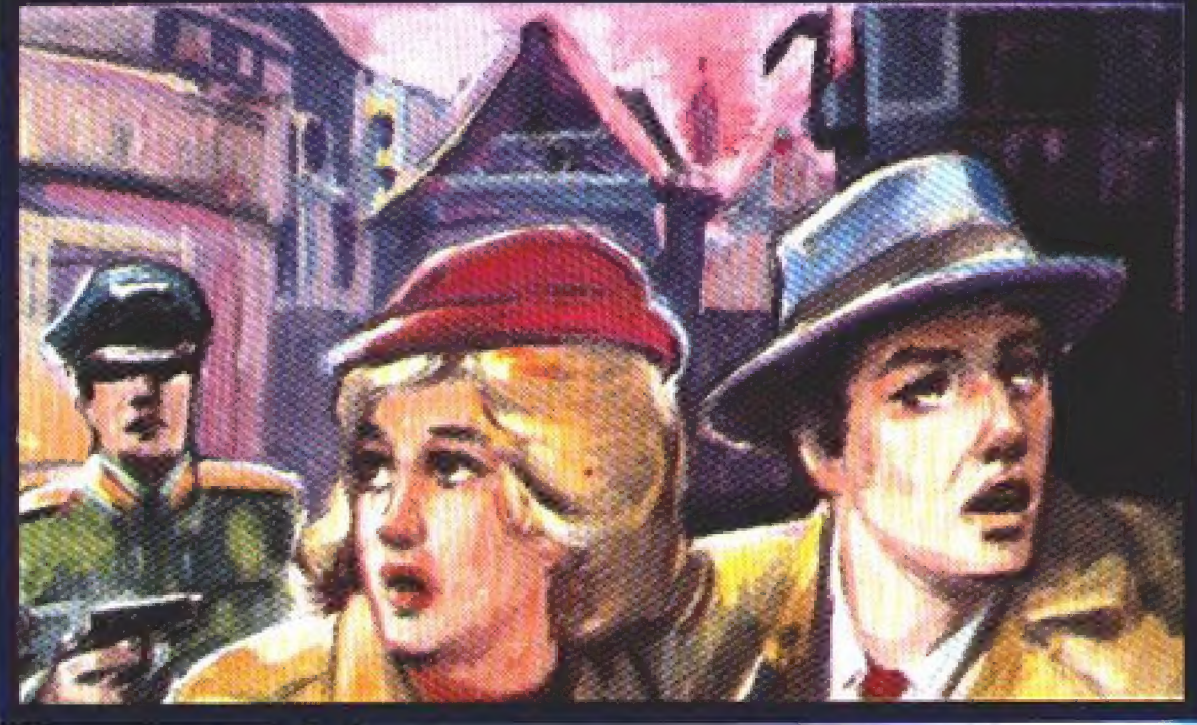
كان (هتلر) يجتاح (أوروبا) ، بجيوشه وأفكاره النازية ، والعالم كله يجلس على حافة بركان ، ويعلم أن الحرب آتية لا ريب .. وكانت المهمة عسيرة ومعقدة ، ولكنها تحتاج إلى اثنين من الهواة ، ولهذا وقع الاختيار على (ريتشارد) و (فرانسيس) ؛ لأنهما من طراز جديد ، و ..

وفوق مستوى الشبهات .

الرواية القادمة

(٧)

(الغيبوبة)



فوق مستوى الشبهات

كان (هتلر) يحتاج (أوروبا) ، بجيوشه وأفكاره النازية ،
والعالم كله يجلس على حافة بركان ، ويعلم أن الحرب آتية
لا ريب .. وكانت المهمة عسيرة ومعقدة ، ولكنها تحتاج إلى اثنين
من الهواة ، ولهذا وقع الاختيار على (ريتشارد) و (فرانسيس) ؛
لأنهما من طراز جديد ، و ..
وفوق مستوى الشبهات .

٦